



ترجمة: جميلة صابر

جواب أولي

على

أنفير خوجة

بصدد كتاب

"الإمبريالية والثورة"

الشرارة

من الشرارة يولد اللهب



العدد التاسع (عدد خاص)

شتنبر 2022

## جواب أولي على أنفير خوجة بصدد كتاب "الإمبريالية والثورة"

### مقدمة المترجم

إن النص الثاني الذي نقدمه للقارئ والمناضل، ضمن سلسلة الرد على أطروحات الخوجيين التحريفية، صدر سنة 1978 وموقع من طرف "المنظمة الشيوعية الماركسية - اللينينية - الطريق البروليتاري -"، وهي منظمة فرنسية تأسست سنة 1976. وقد جاء هذا التأسيس نتيجة للتطورات التي عرفها اليسار الثوري الفرنسي بداية منتصف سبعينيات القرن الماضي. ومن المعلوم أن ستينيات القرن الماضي قد عرفت انتشار العديد من المنظمات والحركات في فرنسا، التي تأثرت بشكل كبير بفكر ماو تسي تونغ وأطروحات الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في الصين، وذلك في سياق النضالات العمالية والتحولت الإيديولوجية العميقة، التي صاحبت ماي 68 في فرنسا.

هكذا نشأت "حركة ماوية" قوية، معارضة للخط التحريفي للحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان سباقا في تبني خط تحريفي منذ 1936 عندما ساند حكومة إصلاحية، ثم استمر في خطه بعد تحرير فرنسا من الاحتلال النازي عندما شارك في الحكومة الديغولية، ودعا من موقعه ذلك، العمال الفرنسيين إلى إعادة بناء الرأسمالية الفرنسية، فانضاف انحرافه الإصلاحي إلى انحرافه "الوطني" في وقت كانت فيه العديد من دول إفريقيا وآسيا تزرع تحت نير الاستعمار الفرنسي. ومعلوم أن هذا الحزب كان وراء الخطوط التحريفية للأحزاب الشيوعية في شمال إفريقيا، التي كانت تنتظر بناء الاشتراكية في فرنسا لتتحرر بلدانها.

في مواجهة هذا الحزب التحريفي، نشأ اليسار الثوري في فرنسا رافعا راية الماركسية - اللينينية - فكر ماوتسي تونغ، راية الثورة العالمية.

ابتداء من أوائل السبعينيات، خاصة منذ منتصفها، عرفت الحركة نقاشات واسعة ومتناقضة حول تجربتها ودروسها، خاصة بعد حل أشهر فصيل داخلها وهو "اليسار البروليتاري". وبعد تقديم حصيلة نقدية للفشلات التاريخية للتجارب الاشتراكية، والنضالات العمالية لسنة 1968 بفرنسا، قام مجموعة من المناضلين بتأسيس "المنظمة الشيوعية الماركسية - اللينينية - الطريق البروليتاري -" وذلك سنة 1976. وقد جاء مؤسسو المنظمة من اتجاهين أساسيين:

- الاتجاه الأول: جاء من تيار ماركسي - لينيني، كان يصدر نشرتين تحت عنوان: "اليقظة" و "البروليتاري - الخط الأحمر".  
- الاتجاه الثاني: جاء مباشرة مما يسمى ب " الحركة الماوية" ("اليسار البروليتاري"، "الحزب الشيوعي الماركسي - اللينيني الفرنسي" ...).

وقد شكل تأسيس "المنظمة الشيوعية الماركسية - اللينينية - الطريق البروليتاري-..." فضاء التقى فيه مناضلون حملوا إلى التنظيم مكتسباتهم النظرية، وآخرون حملوا إليه خبرات النضال الطبقي، خاصة العمالي.

تعرف هذه المنظمة بنضالها ضد الإمبريالية والشوفينية، وتقوم بمساندة النضال من أجل المساواة في الحقوق بين الفرنسيين والمهاجرين، وتحارب العنصرية والتمييز الجنسي، وتناضل من أجل المساواة بين الرجل والمرأة، كما تعرف المنظمة بمساندتها التامة للقضية الفلسطينية ولنضالها العادل ضد الكيان الصهيوني، وترفع شعار الدولة الديمقراطية على كامل أرض فلسطين، وعموما، تنخرط في سيرورة النضال الثوري من أجل بناء الحزب الشيوعي الفرنسي.

عندما قام الانقلابيون التحريفيون في الصين، بالاستيلاء على قيادة الحزب الشيوعي الصيني استمرت المنظمة في الدفاع عن خط ماوتسي تونغ، وقامت بقراءة نقدية لتجارب البناء الاشتراكي من أجل التصدي للخطوط التحريفية الجديدة، التي ظهرت

على السطح خاصة تلك التي روج لها أنفير خوجة، الذي قام بمهاجمة ماو تسي تونغ والثورة الصينية، مروجاً للعديد من الأكاذيب والتشويهات، وجدت صدى عند بعض الجاهلين والانتهازيين، اللذين رموا بكل الإرث الثوري للتجربة الصينية وقيادة ماو تسي تونغ، ذلك الإرث الذي سمح بمواجهة التحريفية الخروتشوفية والتصدي لها، وأثار طريق الثورة العالمية. ويشكل كتاب أنفير خوجة "الإمبريالية والثورة" نموذجاً صارخاً للتحريفية الجديدة، التي عادت بالحركة الشيوعية العالمية بعشرات السنين إلى الوراء.

نقدم هنا مرة أخرى رداً مفحماً لأحد الفصائل الثورية في السبعينات على مثل هذه الترهات، التي أفقدت بعض المناضلين سلاح مواجهة التحريفية ودروس الثورة الثقافية الصينية، وأصبحوا مجردين من السلاح الثوري، وألقوا بأنفسهم في براثن التحريفية.

## - نص الكتاب - جواب أولي على أنفير خوجة بصدد كتاب "الإمبريالية والثورة"

ترجمة: جميلة صابر

تقديم

لقد دعمنا حزب العمل الألباني في نضاله ضد "نظرية العوالم الثلاثة"، وعندما جر عليه نضاله الشجاع إجراءات انتقامية من طرف التحريفيين، اللذين يوجدون على رأس الحزب الشيوعي الصيني (المقصود هنا القيادة التي قامت بانقلاب بعد وفاة ماو تسي تونغ)، وقد كان موقفا صحيحا، ودعمنا أيضا، وبشكل أساسي، خلاصات المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني. لقد فتح المؤتمر آفاقا جيدة للحركة الشيوعية العالمية، وهذا، رغم بعض النواقص والأخطاء (أساسا حول مسألة أوروبا، الحرب والاستقلال الوطني). كان عندنا أمل أن حزب العمل الألباني في الأخير سيتحسن بتعميق النضال ضد التحريفية الجديدة، وكان عندنا أمل بعد المؤتمر السابع، الذي أعطى دفعة قوية لهذا النضال أن يثير بصراحة الأسئلة التي تشكل عرقلة أمام وحدة الماركسيين - اللينينيين العالمية: نقد القومية والديموقراطية، التي تمد جذورها إلى حد بعيد في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية (إلى غاية الأممية الثالثة)، الحصيلة العميقة إلى حد ما لإعادة الرأسمالية للاتحاد السوفياتي وهزيمة الماركسيين - اللينينيين في الصين إلخ...

إذا كنا اليوم ننتقد حزب العمل الألباني علانية فلأنه يدير ظهره لهذه الطريق، ولكن ليس فقط بسبب هذا، إننا ننتقده علانية أيضاً، بصفة خاصة، لأنه كلما استمر في أخطائه والزيادة في خطورتها، كلما رفض بعناد كل مناقشة وتبادل متناقض، واستمر في قياس درجة الإخلاص للماركسية - اللينينية على أساس التبعية تجاه آراءه الخاصة.

لم نعتبر أبداً أن كل اختلاف مع الماركسيين - اللينينيين يستوجب منح مؤهلات "نهائية". إن الأخطاء يمكن ارتكابها ويمكن تصحيحها، على عكس ما يظنه أولئك الذين يخلطون بين الصراع الإيديولوجي ولعبة المذبحة، والتي تنصب أمام كل اختلاف في الرأي حائطا يصعب اختراقه. هذا الموقف لم يمنعنا أبداً من التعبير بكل استقلالية عن آرائنا الشخصية الخاصة، وإن كانت تختلف عن آراء حزب العمل الألباني: المسألة الوطنية، ماو تسي تونغ، الحرب الصينية - الفيتنامية، الحزب الشيوعي العمالي الفرنسي إلخ...

إن البحث عن الوحدة والنقاش مع الماركسيين - اللينينيين ليس لا بالتبعية ولا بالتوافق مع الانتهازية. رغم رسائلنا وتصريحاتنا، فإن حزب العمل الألباني قرر إغلاق الباب أمام كل نقاش، فقد استمر في خطأ هو قديم أصلاً، والذي يتمثل في "الاعتراف" بالأحزاب الزائفة، كلما ضاعفت مجموعة من الانفصاليين والمغامرين (مثل الحزب الشيوعي العمالي الفرنسي، في فرنسا) التصريحات الدبلوماسية للولاء.

وجه حزب العمل الألباني هجوماً مفاجئاً ضد ماو تسي تونغ، وحاول فرض وجهات نظره على الماركسيين - اللينينيين بتقديم موقفه كخط عام للحركة الشيوعية العالمية، لكن موقف حزب العمل الألباني مهما كان مرموقاً، فهو ليس إلا رأي حزب واحد، وليس أكثر، وهذا الرأي ليس رأينا.

إن النقاش شكل من أشكال الصراع، والبوليميك شكل آخر، فعندما تكون القضية تتعلق بمبادئ الماركسية - اللينينية، فإنه لا يتم التوقف عند شكل معين، وهي بالفعل موقف، فواحدة من الإنجازات التاريخية لماو تسي تونغ، هو أنه كان الأول، الذي

بدأ استخلاص حصيلة التجربة الماضية للحركة الماركسية - اللينينية، فقد قام بخطوة هامة في طريق نقد أخطاء الحركة الشيوعية العالمية، وبالأساس أخطاء ستالين والحزب الشيوعي السوفياتي في بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي. إننا نخال، أن طريق نهوض الحركة الشيوعية العالمية، هو السير في الخط الذي رسمه ماو تسي تونغ، والدفع بالتحليل إلى أبعد مدى، لأنه من البديهي أن الصعوبات التي تعترض الماركسيين - اللينينيين في العالم كله منذ 15 سنة، للتخلص من التحريفية، وبناء أحزاب ماركسية - لينينية صلبة، ترجع إلى عراقيل في العمق. لقد حصلنا على إرث الحركة الشيوعية العالمية بدون أن نقوم بما يكفي من الفرز (انظر في الملحق)، لكن حماية الأخطاء السابقة هكذا، فإن الأمر ينتهي بتبنيها وإعادة إنتاجها.

من خلال "مسألة ماو"، فالأمر لا يتعلق بموضع تساؤل حول رجل، بل يتعلق الأمر بموضع تساؤل حول التوجه الأساسي للماركسيين - اللينينيين حول مجموعة من المسائل الحيوية، والعودة إلى أخطاء الماضي: حول الطبقات، صراع الطبقات، دكتاتورية البروليتاريا، حول الحزب، المادية الديالكتيكية إلخ ...

إن كتاب أنفير خوجة "الإمبريالية والثورة" لا يشكل تركيبا لما هو متقدم في الحركة الشيوعية العالمية، فهو على العكس، يشكل هجوما ضد النقطة الأكثر تقدما في النظرية والممارسة (الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الصينية) والرجوع إلى الوراء لأكثر من 30 سنة من تطور الماركسية - اللينينية. إن كراستنا، تشكل جوابا أوليا على الأطروحات المغلوطة لحزب العمل الألباني، ونحن بعيدون عن التناول بشكل عميق كل القضايا التي يثيرها كتاب أنفير خوجة، وأقل من ذلك الإتيان بحل للعدد الكبير من المشاكل، التي يطرحها الماركسيون - اللينينيون.

لا يمكن، علاوة على ذلك، الإجابة على كل الأسئلة على قاعدة نقد كتاب أنفير خوجة، لأن هذا الكتاب سطحي لأقصى درجة في عرض المشاكل، وذاتوي في خلاصاته. سنتبع بشكل منهجي هذا العمل، وبالأخص تحليل الثورة الصينية، والثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الصينية، وأسباب الفشل المسجل من طرف الماركسيين - اللينينيين في الصين، سنتبعه مع كل

الماركسيين - اللينينيين، اللذين في العالم وفي فرنسا، يتقاسمون معنا (انشغالاتنا، وفي ترابط مع مجموع المهام السياسية، التي حددتها منظماتنا).

اللجنة الإدارية للمنظمة الشيوعية

الماركسية - اللينينية - الطريق البروليتاري



## الفصل الأول

### كيف ينظر حزب العمل الألباني إلى الماضي

إن واحدة من الصعوبات الكبرى التي يواجهها أنفير خوجة في كتابه، هي بدون أدنى شك، شرح الانعطاف 180 درجة، الذي تعامل به حزب العمل الألباني تجاه ماو والثورة الصينية. لقد حاول أنفير خوجة بعيدا عن تقديم نقد ذاتي كما كان منتظرا منه، تبرير هذا الانعطاف، ثم بشكل بهلواني تماما، حاول اقتراح استمرارية بين الموقع الحالي لحزب العمل الألباني، والموقف السابق. إن الحجتين المقدمتين لدعم هذه الأطروحة، هي أولا، جهل الوضعية الحقيقية للحزب الشيوعي الصيني في الماضي، ثانيا، التحفظ الذي سيعتمد عليه حزب العمل الألباني تجاه ماو والحزب الشيوعي الصيني خلال السنوات الماضية. (ص 405 والصفحات التي تليها).

\*\*\*

إن الحجة الأولى عديمة التأثير بشكل واضح، لأن أطروحات ماو الأساسية المنتقدة في هذا الكتاب هي معروفة منذ زمن طويل، لأن معرفة كل تفاصيل حياة ونشاط الحزب الشيوعي الصيني ليست ضرورية لإجراء تقييم للخط الذي تبناه، فأعمال ماو ليس فيها أي شيء "غامض" (لغز).

كتب أنفير خوجة:

" أما بالنسبة للمجلدات الأربعة من أعمال ماو، والتي يمكن اعتبارها رسمية، ليس فقط المواد التي تحتوي عليها، لا تذهب فقط إلى غاية عام 1949، ولكن تم التعامل معها بكثير من العناية، وأنها لا تعطي صورة دقيقة عن الأوضاع كما تطورت في الحقيقة.

إن العرض السياسي والنظري للمشاكل في الصحافة الصينية، ولن نتحدث هنا عن الأدبيات، حيث ساد منتهى اللبس، ليس له إلا خاصية دعائية".

هذه طريقة إلى حد ما خشنة، للتخلص من الوثائق المعروفة لماو والحزب الشيوعي الصيني، بالشكل الذي، في الصفحات اللاحقة من الكتاب، يمكن أنغير خوجة من أن يتجنبها في مواجهة موضوعية بين هذه الانتقادات ونصوص الحزب الشيوعي الصيني وماو المعروفة.

إنه بالشروع في إقصاء النصوص المرجعية، يمكن هكذا إعطاء بعض الاعتبار لأطروحة "الجهل" لحزب العمل الألباني، وخاصة، يمكن للمرء ذي ضمير حي، استبدال هذه النصوص ب "ملخصاته" الخاصة لمواقف ماو، والقيام بتمرير عرض مزور لأطروحات ماو من أجل استعادة بسبب للحقيقة. فيما يلي من صفحات الكتاب، سيستخدم أنغير خوجة وسيفرط في هذه العملية البوليميكية السيئة.

لكن أطروحة الجهل ليست خاطئة فقط، بل هي تنقلب بشكل واضح على صاحبها: بالفعل إذا كان حزب العمل الألباني لا يمكن أن يدين ماو في الماضي بسبب جهله للوضع الحقيقية، ما ذا تغير اليوم، ومن أين تأتيه هذه الرؤى اليوم؟ يمكن أن نستخلص أنه يأتي بهذه المعلومات "الجديدة" من القادة الحاليين للحزب الشيوعي الصيني!

\*\*\*

إن الحجة الثانية لأنغير حجة، لكي يقترح استمرارية ملاحظاته عن الحزب الشيوعي الصيني وعن ماو، وهي أطروحة "تحفظ" حزب العمل الألباني تجاه ماو:

"إن حزبنا بتحليله للوقائع، توصل إلى بعض الخلاصات، عامة وخاصة، التي تؤدي به إلى أن يكون حذرا، إلا أنه إذا كان يتجنب البوليميك مع الحزب الشيوعي والقادة الصينيين، فليس لأنه يخشاها، بل لأن المعطيات التي كان يتوفر عليها

حول الطريق الخاطئ المضاد للماركسية لهذا الحزب ولماو تسي تونغ نفسه كانت غير مكتملة ولا تسمح له باستخلاص نتائج نهائية".

هذا بالنسبة للفترة السابقة عن الثورة الثقافية. إن رأي حزب العمل الألباني الذي كان قد تكون: وحدها فرصة بوليميك مناسبة كانت محط تساؤل في الوقت نفسه الذي كان ينقص فيه تأكيد حول نقطة اللاعودة للحزب الشيوعي الصيني في طريق التحريفية. هذه بشكل كبير هي الوضعية: حزب العمل الألباني له مسبقا رأي سلبي، لكنه حذر وينتظر تأكيدا فجاءت إذن الثورة الثقافية.

"لقد ساند حزبنا الثورة الثقافية، لأن انتصارات الثورة في الصين كانت في خطر، لقد قال لنا ماو تسي تونغ نفسه، إن الحزب والدولة عندنا في الصين قد اغتصبتهم مجموعة ليو شا وشي و دينغ كسيا وبينغ و أن انتصارات الثورة الصينية كانت مهددة".

إن حزب العمل الألباني، الذي كون رأيه على أساس ماو والحزب الشيوعي الصيني، يقرر أن يساند الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى على أساس كلمة بسيطة من ماو. نزن أننا نحلم. كيف يمكن في هذه الظروف تقييم موقف حزب العمل الألباني؟ وهو موجود هنا مسبقا في هذين الاقتباسين لأنفير خوجة، فإما هذا كذب أو انتهازية خطيرة جدا. لكن حزب العمل الألباني لم يكن ليساند صراحة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، كان عليه أن يساندها بتحفظ حسب مفاهيمه الخاصة:

"إن حزبنا قد دافع عن الشعب الصيني الشقيق، وعن أسباب الثورة والاشتراكية في الصين، وليس عن الصراعات التكتلية المعادية للماركسية، التي تتصادم وتذهب إلى غاية المواجهات المسلحة من أجل أخذ السلطة".

خارج أنه من الصعب علينا تصور أن هذه الجملة يمكنها أن تترجم جيدا كموقف عملي - مساندة ثورة بينما الأمر يتعلق فقط بتكتلات معادية للماركسية - فإن كل الماركسيين - اللينينيين يعرفون أن هذا لا يتلاءم مع الواقع. إن استعمال مثل هذه الحجة هو التكهن بجهل الماركسيين - اللينينيين، لكن يمكننا أن نورد عشرة، عشرين، ثلاثين نصا أو خطابا ألبانيا، ابتداء من تلك الصادرة عن كبار قادة حزب العمل الألباني إلى أبسط مقالات الصحافة، التي يمكن أن تقرأ فيها مدحا فيه إطراء للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الصينية ولماو، وكذلك اتخاذ مواقف واضحة لصالح "كتلة" ماو واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني.

إذا كان حزب العمل الألباني قد أظهر تحفظا، فماذا كان يمنعه من كتابة:

"إنكم أنتم الرفيق ماو تسي تونغ، الذي أطلق وقاد شخصيا الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الصينية، التي كان نجاحها انتصارا كبيرا للماركسية - اللينينية، ليس فقط على الصعيد الوطني ولكن أيضا على الصعيد الدولي. إن انتصار قضية الاشتراكية والشيوعية هي مصدر إلهام لكل الحركة الثورية في العالم. إن الثورة الثقافية قد أفضلت الخط الخياني للمرتد ليوشا وشي، وعززت انتصارات الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا في الصين.

تحت قيادتكم اكتشف الحزب الشيوعي الصيني، وسحق المؤامرة الخطيرة المضادة للثورة للطغمة المعادية للحزب والوصولي البورجوازي، المتآمر والمرتد لين بياو".

أنفير خوجة، رسالة بمناسبة الذكرى 80 لميلاد ماو

"إننا نقدر الموقف المتخذ تجاه هذه الثورة الكبرى، فهي حجر الزاوية وصالحة اليوم للتمييز بين الماركسيين - اللينينيين والتحريفيين والانتهازيين، التمييز بين الثوريين الحقيقيين والمعادين للثورة. إن التزام الصمت حول حدث بهذه الأهمية،

التي يأخذ معنى تاريخيا عالميا، معناه أن يكون ذلك موقف محدد حول مسألة مبدأ له نفس حيوية الصراع بين طبقتين،  
خطين وطريقين".

م. شيهو، 1967، خطاب في شنغهاي

هل يمكن أن نسمي هذا "نوعا من التحفظ"؟

يزعم أنفير خوجة في كتابه، تجاه ماو تسي تونغ، أنه:

"في صحافتنا، وصف ماو تسي تونغ أنه ماركسي - لينيني، لكن لم نستعمل أبدا، ولم نصادق على تعاريف الدعاية  
الصينية، التي وصفت ماو ب "الماركسية-اللينينية الكلاسيكية وفكر ماو" بالمرحلة الثالثة العليا للماركسية. كان حزبنا  
يعتبر الطريقة التي يتم بها النفخ في تقديس ماو تسي تونغ في الصين كأمر لا يتماشى مع الماركسية - اللينينية".  
إنه أمر معروف أن ماو تسي تونغ كان ضد أطروحة "المرحلة الثالثة في الماركسية" التي صاغها لين بياو، ودعا إلى حركة  
واسعة لدراسة ماركس و انجلز و لينين و ستالين، و تنحية لين بياو، و دعا، وأطلق نقدا واسعا ل "نظرية العبقرية" على امتداد  
الصين بأكملها<sup>1</sup>.

1 . حول مسألة "عبادة" ماو، أمر له معنى إلى حد ما لغياب تام للصرامة العلمية في كتاب أنفير خوجة. إنه البلد الوحيد الذي كانت فيه  
أعياد ميلاد ماو تسي تونغ يحتفل بها بضجة كبيرة في ألبانيا. في الصين اقترح ماو تسي تونغ منذ 1949 منع هذا النوع من الاحتفالات، ورجع  
عدة مرات إلى هذه المسألة، وبالأخص ضد الاتجاهات التي ظهرت خلال الثورة الثقافية الصينية الكبرى، التي كانت تريد أن تنزله منزلة  
"الله في السماء" لإبعاده عن النضالات على الأرض.

لكن المسألة لا تكمن في هذا، إنها تكمن في معرفة ما هو المعنى السياسي الذي يمكن أن يكون لفكرة ماو، أن يكون "ماركسيا - لينينيا" وليس "كلاسيك"، ففي ماذا يعفي هذا حزب العمل الألباني من تقديم نقد ذاتي حول ماضيه، بينما اليوم يوصف ماو بالمعادي للماركسية، "خروتشوف الصيني".

إن السؤال الذي يحاول أنفير خوجة أن يبعده بهذه الطريقة، هو معرفة ما إذا قد وضع حزب العمل ماو تسي تونغ في مرتبة ماركس، انجلز، لينين وستالين، ليس ب المعنى الرمزي ولكن بالمعنى السياسي. فيما يخص أنفير خوجة نفسه، يمكننا الجواب بالإيجاب، فلسنا نحن اللذين كتبنا:

"كخليفة بارز لماركس، انجلز، لينين وستالين، قمتم بتطوير، وإغناء بشكل خلاق، بارتباط مع ظروف الصين وخصوصيات العصر الراهن، العلم الماركسي - اللينيني في ميادين الفلسفة، وتطور الحزب البروليتاري، واستراتيجية وتكتيك النضال الثوري، والنضال ضد الامبريالية، بالإضافة إلى ما يتعلق بقضايا بناء المجتمع الاشتراكي. إن تعاليمكم حول متابعة الثورة في ظروف دكتاتورية البروليتاريا من أجل البناء الاشتراكي حتى النصر الكامل، ولوضع حد لخطر عودة الرأسمالية كيفما كان الشكل الذي تأخذه، ومن أين أتت، تشكل مساهمة بارزة ذات قيمة عالمية، في النظرية وفي ممارسة الاشتراكية العلمية. إن أعمالكم تشكل مدرسة ثورة بالنسبة لكل الماركسيين - اللينينيين والعمال" (أنفير خوجة، رسالة بمناسبة الذكرى 80 لميلاد ماو تسي تونغ، 1973).

هذا الموقف حافظ عليه حزب العمل الألباني إل حدود وفاة ماو تسي تونغ. لقد شكل كتاب أنفير خوجة بدون شك انعراجا ب 180 درجة عن خط حزب العمل الألباني حول ماو والحزب الشيوعي الصيني، فكيف يمكن تفسير هذا الموقف، سوى أن الماضي، يعتبر مزعجا، فيتم القيام بإعادة كتابة التاريخ.

إننا لا نقوم بمحاكمة الشيوعيين انطلاقاً من أخطائهم أو العكس، إننا نحاكمهم على الطريقة النقد الذاتية لتحليل ماضيهم الخاص، وقدرتهم على تصحيح الأخطاء، التي يمكن أن يرتكبوها، والحال أنه عن طريق ممارسة الرضا الذاتي - هي علاوة على ذلك ثقيلة بما يكفي - إن كتاب أنفير خوجة يساهم في إفقاد المصدقية لهذا الموقف أو ذاك من مواقفه، الحاضرة منها أو الماضية.

في نظرنا، فإنه يفقد المصدقية لموقفه الحالي، لأنه كان دائماً في السنوات الماضية بالنسبة للأساسي، ماركسيا - لينينيا، كما تشهد على ذلك النصوص العديدة السابقة لحزب العمل الألباني.

### كيف زور أنفير خوجة الثورة الصينية 1949 وتحولها إلى ثورة اشتراكية

إن انتصار الثورة الصينية سنة 1949، كان بمثابة انتصار كبير للجماهير الصينية، التي قادها الحزب الشيوعي الصيني. إن هذه الثورة قد هزت العالم، وكان لها صدى معتبرا في كل البلدان، لكنها ساهمت، خاصة وبشكل كبير، في استيقاظ الشعوب المضطهدة القابعة تحت نير الاستعمار، لقد انتزعت من الامبريالية سوقا واحتياطيا من اليد العاملة ومنفذا لرساميلها تسكنه 600 مليون من الناس.

في كتاب أنفير خوجة، في الجزء المخصص للتغيرات الحاصلة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية (ص 13)، فالانتصار العظيم لسنة 1949 لم يتم حتى ذكره. هكذا، وبعد أخذ هوا - دينغ السلطة سنة 1976 وإعادة الرأسمالية، يتم محو الثورة الصينية سنة 1949 من الأحداث الهامة!

بطبيعة الحال، لا يتعلق الأمر هنا بفعل مجاني، بل يتعلق الأمر في يومنا هذا، بإنكار صحة خط الحزب الشيوعي الصيني في الثورة الديمقراطية البورجوازية.

## 1 - تزوير أطروحات ماو تسي تونغ:

في الصفحة 440 وما يليها، يتم الهجوم على خط ماو بشكل مفتوح، وذلك حول مسألة الثورة الوطنية الديمقراطية في الصين.

لنتمعن في هذه الهجومات:

"لم يستطع ماو تسي تونغ أبدا فهم وشرح بشكل صحيح الروابط الوثيقة القائمة بين الثورة الديمقراطية البورجوازية والثورة الاشتراكية."

ويقوم أنفير خوجة باقتباس مقتطف لماو:

"إن تحول ثورتنا إلى ثورة اشتراكية هي مسألة تنتمي إلى المستقبل ... وفيما يخص معرفة متى يتم هذا الانتقال ... يمكن أن يتطلب هذا مرحلة طويلة بما يكفي طالما لم تتجمع كل الظروف السياسية والاقتصادية المطلوبة من أجل هذا الانتقال، وطالما هذا الانتقال لا يمكنه أن يفيد ولكن فقط يضر الغالبية العظمى من شعبنا، فلا يمكن أن يكون هناك حديث عن ذلك." ماو، مجلد 1، ص 188.

ثم يقوم خوجة بالتعليق التالي:

"لقد تشبث ماو تسي تونغ على امتداد الثورة، بل وحتى بعد التحرير بهذا المفهوم المعادي للماركسية، الذي لا يتبنى انتقال الثورة الديمقراطية البورجوازية إلى ثورة اشتراكية."

إن هذا التأكيد لا أساس له، لأن ماو كان قد تحدث بشكل واضح حول هذه المسألة وفي مناسبات عديدة. لنلاحظ، ومن أجل أن نسهل المهمة، وضع أنفير خوجة بعض نقط التتابع بدل الجملة التالية في نص ماو تسي تونغ:

"في المستقبل، فالثورة الديمقراطية ستتحول بشكل حتمي إلى ثورة اشتراكية." المجلد 1، ص 188.



لكن رغم هذه الخدعة، فإن مقتطف ماو صحيح بشكل مطلق: يمكن للثورة الديمقراطية أن تتحول إلى ثورة اشتراكية دون توفر بعض الظروف الاقتصادية والسياسية، إنها أبجدية الماركسية - اللينينية، فالذي يعطي للثورة الصينية طابعها المناهض للإقطاع والامبريالية، هو المرحلة المحددة للتطور الاقتصادي الصيني (سيطرة الإقطاع في البادية وإمبريالية في الصناعة والتجارة) والبنية الفوقية السياسية المطابقة لذلك. طالما أن الإقطاعية لم تتم تصفيتها ولم يتم طرد الإمبريالية، بمعنى آخر، طالما لم يتم استكمال الإصلاح الزراعي، والرأسمال الإمبريالي والبيروقراطي لم يتم تأميمهما، فالحديث عن الثورة الاشتراكية هو نوع من اللغو. وقد كتب ماو في مجلد 2، ص 351:

"في بلد متأخر اقتصاديا كما هو حال الصين، فإن انتصار الثورة الديمقراطية سيأتي لا محالة بنوع من تطور الرأسمالية، وليس هذا إلا أحد نتائج الثورة الصينية وليس تأثيرها الشامل. أما التأثير الشامل فسيكون تطورا للعوامل الرأسمالية، والعوامل الاشتراكية بنفس القدر. أية عوامل اشتراكية؟

ستكون الأهمية المتزايدة للبروليتاريا والحزب الشيوعي في علاقة القوى السياسية في البلاد، الدور القائد للبروليتاريا المعترف به، أو مرشح للاعتراف به من طرف الفلاحين، المثقفين والبورجوازية المدنية، قطاع الدولة في الاقتصاد المرتبط بالجمهورية الديمقراطية والقطاع التعاوني للاقتصاد المرتبط بالشعب العامل، وإذا أضفنا وضعا دوليا مناسباً، فإنه من المحتمل بشكل كبير أن الثورة الديمقراطية البورجوازية ستنتج في النهاية في إبعاد الطريق الرأسمالي عن الصين وتضمن لها مستقبلا اشتراكيا."

لقد حدد ماو تسي تونغ دائما العلاقة بين الثورة الديمقراطية البورجوازية بقيادة البروليتاريا والثورة الاشتراكية، وتشهد على ذلك العديد من الكتابات، مثل "الديموقراطية الجديدة"، "الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني" ... إن كل هذا معروف. يزعم أنفير خوجة أن ماو تسي تونغ كان يدعو إلى مرحلة طويلة من التطور الرأسمالي قبل الثورة الاشتراكية، لكن العكس هو الصحيح. ففي العديد من النصوص تم ذكر الإجراءات الرئيسية الاقتصادية ومنها السياسية، التي أخذتها السلطة الشعبية، وكذلك مختلف أشكال الاقتصاد لنظام "الديموقراطية الجديدة".

يتجنب أنفير خوجة التطرق لهذه القرارات، ويقوم بإنكار صحتها، ويتجنب كذلك شرح ما يعني في الصين الخط المعادي للماركسية، ويكتفي بالتأكيد بشكل قطعي أن ماو:

"ليس مع تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية إلى ثورة اشتراكية، ويتخيل أن هذا النوع من الحجج التي تعتمد فقط على "سلطة صاحبها" يمكن أن تؤثر علينا، فليس هناك أدنى تحليل ملموس، ولا أدنى مقتطف كامل بما يكفي وذا مغزى ... وإذا تمعنا في نصوص ماو تسي تونغ، سنجد (ص 384، مجلد 4) في تقريره المقدم إلى الدورة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع، وذلك في الفصل السادس، تعريفا للقرارات الاقتصادية الأساسية، التي يجب اتخاذها بعد الانتصار في الصين كلها، وهذه القرارات تخص ستة ميادين وهي:

- 1 - قيادة البروليتاريا عن طريق حزبها الشيوعي، وإلا هناك أخطاء يمينية.
- 2 - إن الاقتصاد الزراعي والحرفي متأخر في الصين، ويجب أخذ هذا بعين الاعتبار وإلا هناك أخطاء يسراوية.
- 3 - "إن الصناعة الحديثة الصينية متمركزة بشكل كبير بالرغم من أن قيمة إنتاجها لا تمثل إلا 10% تقريبا من الإنتاج العام للاقتصاد الوطني". تأميم هذا القطاع، قطاع قائد لكل الاقتصاد الوطني "والحال أن هذا القطاع من الاقتصاد لذو طبيعة اشتراكية وليس ذو طبيعة رأسمالية".

## 4 - صناعة رأسمالية خاصة (بورجوازية وطنية)

"يجب السماح لكل عناصر الرأسمالية المدينية والريفية المفيدة وغير الضارة بالاقتصاد الوطني لأن تتطور"  
 "إن الرأسمالية ستكون محدودة بطرق مختلفة في الصين عن طريق تحديد حقل نشاطها، وعن طريق السياسة الضريبية  
 وأسعار السوق وظروف العمل".

5 - إن الزراعة والحرف الفردية، يجب أن توجه، بحذر وبشكل تدريجي نحو التجميع والتحديث.

## 6 - مراقبة التجارة الخارجية.

من هذه اللوحة الكاملة يستخرج أنفير خوجة فقط جملة حول تطور الرأسمالية الخاصة "يتجنب" التحديد المتضمن في  
 الجملة نفسها، وهذا تزوير جديد للنص، ويتجنب خاصة تعريف حدود التطور الرأسمالي الخاص المتضمن في الفقرة نفسها  
 (مجلد 4، ص 388) وهذا تزوير لأطروحة ماو بهدف تسهيل النقد.

## II - البروليتاريا والفلاحون

في عرضه حول الثورة الصينية، يزعم أنفير خوجة أن ماو ينفي سيطرة البروليتاريا في الثورة، وأناط قيادة الجبهة بالفلاحين،  
 ويعتبر الفلاحين كقوة قائدة للثورة الديمقراطية، ولأن نصوص ماو حول المسألة كانت واضحة وصحيحة مثل: "التحليل  
 الطبقي للمجتمع الصيني"، "تحقيقات حول حركة الفلاحين في هونان" وجد نفسه مضطرا لمحاولة تنحيها بهذا الشكل:  
 "إن ماو تسي تونغ... رغم كونه يتحدث عن دور البروليتاريا، فهو يقلل في الممارسة من سيطرتها في الثورة، ويعزز دور  
 الفلاحين".

إن ماو "يتحدث"، لكن لا تثقوا بذلك فهو ينفيا "في الممارسة". أين يبحث عن مراجعه حول هذا؟ أين هي الحجج  
 "العملية" المذكورة من طرف أنفير خوجة؟ في الحقيقة، فماو ليس فقط "يتحدث" عن سيطرة البروليتاريا، بل إنه حدد

العلاقات بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية، وحدد الشكل الملموس الذي تتخذه سيطرة البروليتاريا في كل مراحل الثورة الصينية.

**فإلى أي "ممارسة" يشير أنفير خوجة لتنحية النصوص المعروفة لماو؟**

إنه يتناول أطروحتين لماو، والتي هي:

1- الدكتاتورية المشتركة لعدة طبقات ثورية في الثورة الديمقراطية الجديدة.

2 – التكتيك الثوري لتطويق المدن من طرف البوادي.

في الصفحة 448، من كتابه، يؤخذ أنفير خوجة على ماو كونه تبنى في المرحلة الديمقراطية للثورة دكتاتورية مشتركة لعدة طبقات ثورية بإقحام البورجوازية الوطنية، فكتب ما يلي:

"في كتابه "الديموقراطية الجديدة" بشر ماو تسي تونغ، بعد انتصار الثورة الصينية بإنشاء نظام يعتمد على تحالف "الطبقات الديمقراطية"، حيث تشمل، بالإضافة إلى الفلاحين والبروليتاريا، البورجوازية المدنية والبورجوازية الوطنية". هكذا، إذن، "بشر" ماو بالماركسية – اللينينية!

بالنسبة لأنفير خوجة، إذا كان الأمر يتعلق بنفي "دكتاتورية مشتركة"، فإنه يجهل أبجدية الماركسية، فمعروف جدا أن مفهوم الدكتاتورية المشتركة أنشئ من طرف لينين في كتابه "تكتيكان للاشتراكية الديمقراطية".

يشرح لينين في هذا النص، أنه في مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية، فإن سلطة الدولة لا يمكن أن تكون إلا دكتاتورية مشتركة لعدة طبقات ثورية. إن شعار دكتاتورية البروليتاريا كان شعار الثورة الاشتراكية، التي كانت فيها البروليتاريا وحدها طبقة ثورية.

في روسيا، طرح الحزب البلشفي شعار دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين، بعد تجربة الثورة الروسية وتحليل الامبريالية من طرف لينين، فإن خط الدكتاتورية المشتركة كان خط كل الحركات الشيوعية العالمية في الثورة الديمقراطية من طراز جديد، وفي حركة التحرر الوطني، التي تقودها الأحزاب الشيوعية. بالمناسبة، فإن ألبانيا لم تكن استثناء، ويمكن أن نقرأ في تاريخ حزب العمل الألباني (ص، 224):

"نظرا لمحتواه الطبقي، ونظرا للمهام التي زاولها، فإن سلطة مجالس التحرر الوطني كانت تمثل دكتاتورية ديموقراطية للقيادة الثورية تحت القيادة المباشرة والحصرية للحزب الشيوعي".

إن هذه النقطة واضحة جدا، يبقى علينا تفحص أطروحة أنفير خوجة التي ينتقدها، أي ليس مبدأ الدكتاتورية المشتركة لعدة طبقات ثورية، ولكن تطبيقها العملي في الصين، يعني يعيد النظر في مسألة توسيع الجبهة والدكتاتورية المشتركة، لتشمل بعض الطبقات، كما يظهر، البورجوازية الصغيرة المدنية والبورجوازية الوطنية.

نعرف أن الثورة الروسية في مرحلتها الأولى، كانت خاصيتها، أنها موجهة أيضا ضد البورجوازية، من هنا شعار "دكتاتورية ديموقراطية ثورية للبروليتاريا والفلاحين"، شعار - ولنلاحظ ذلك جيدا - الذي يعبر عن الدكتاتورية المشتركة لعدة طبقات، الفلاحون اللذين لا يمثلون طبقة واحدة. لكن بالضبط، بما أن البورجوازية الليبرالية تكون خارج الدكتاتورية الديمقراطية، فهذا يشكل خصوصية الثورة الروسية وليس مبدأ شاملا.

إن هذه الخصوصية آتية من الظرف الموضوعي لروسيا القيصرية، التي لم تكن فقط بلدا شبه إقطاعي، ولكن أيضا دولة إمبريالية ومضطهدة، بينما في الصين كانت البورجوازية، بحكم السيطرة الإمبريالية على البلد منقسمة إلى قسمين، قسم بيروقراطي، وكومبرادور مرتبط بالإمبريالية، وقسم آخر يشكل ما يسميه ماو "البورجوازية الوطنية" المضطهدة من طرف الإمبريالية.

هذا ما يفسره ستالين منذ 1926 ضد الشعارات المغامرة للمعارضة التروتسكية:

"سمعت المعارضة بقول إن ثورة بورجوازية وقعت في الصين، وتعرف أيضا أن الثورة البورجوازية في روسيا كانت ضد البورجوازية، من هنا، فهي قاعدة جاهزة للصين: فلتسقط كل حركة مشتركة مع البورجوازية، عاش الانسحاب الفوري للشيوخ من الكيومنتانغ (أبريل 1926) <sup>2</sup>.

لكن المعارضة نسيت أن باختلاف عن روسيا 1905، فالصين بلد شبه استعماري، مضطهد من طرف الإمبريالية، لهذا السبب فقط، فالثورة الصينية يتبين أنها ببساطة ثورة بورجوازية، ولكن ثورة بورجوازية معادية للإمبريالية، أن الإمبريالية في الصين تقبض بين يديها العناصر الأساسية للصناعة، التجارة والنقل، إن نير الإمبريالية يضرب ليس فقط الجماهير العمالية للصين، ولكن بعض الفئات من البورجوازية الصينية أيضا، أن البورجوازية الصينية، يمكن بالتالي أن تساند في بعض الظروف، وفي وقت محدد الثورة الصينية".

هكذا، بالنسبة للصين، فإن شعار الدكتاتورية المشتركة يتضمن البورجوازية المدنية والبورجوازية الوطنية، علاوة على البروليتاريا والفلاحين.

من هنا، فإن صياغة "الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية"، التي توجد تحت قيادة الطبقة العاملة (بواسطة الحزب الشيوعي الصيني) وترتكز على تحالف العمال والفلاحين". إن هذه الصياغة تشير في نفس الوقت إلى مهام مرحلة الثورة الديمقراطية

<sup>2</sup> - ملحوظة المحرر: نقوم بهذا الحصر لأنه غير مؤكد أن النصيحة المقدمة إلى الحزب الشيوعي الصيني من طرف ستالين بالبقاء داخل الكيومنتانغ هو أمر صحيح، لكن الشكل الذي به سيتحقق التحالف الطبقي داخل أو خارج الكيومنتانغ لا يغير من صحة التحليل الطبقي المعبر عنه هنا، إنه نقاش آخر، ومسألة تكتيكية هي للتوضيح.

الوطنية، التحالف الطبقي الأساسي (الطبقة العاملة - الفلاحون)، وفي نفس الوقت الذي يتعلق فيه الأمر بتحالف مفتوح على طبقات أخرى (مرتكزة على ...). هذه الصياغة تتلاءم جيدا مع واقع الثورة الصينية، ومع تحليل الطبقات للمجتمع الصيني، شبه استعماري وشبه إقطاعي (انظر مجلد 4 "في الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية").

إن الممارسة الثانية لماو في نظر أنفير خوجة، أنها تعيد النظر في مسألة هيمنة البروليتاريا في الثورة، التي ستكون تكتيكا لمحاصرة المدن بالفلاحين، ويلخص أنفير خوجة موقف ماو تجاه الفلاحين:

**"قال إن كل الأحزاب والقوى السياسية الأخرى عليها أن تدعن للفلاحين ولمفاهيمهم".**

بعد هذه الجملة "القطعية" حول ماو يورد المقتطف التالي: "تقرير حول التحقيق الذي تم في هونان حول حركة الفلاحين" (مجلد 1، ص 22).

"سنرى مئات الملايين من الفلاحين ينهضون، متهورين، يقهرون مثل العاصفة ولا يمكن لأي قوة أن تمنعهم ... سيضعون على المحك كل الأحزاب والجمعيات الثورية، كل الثوريين، من أجل، إما أن يقبلوا آراءهم أو يرفضونها".

إذا رجعنا إلى الإصدارات الفرنسية للأعمال المختارة لماو، يمكن أن نلاحظ أن هذا المقتطف المعبر عنه يخون المعنى، وأكثر من ذلك يخون روح نص ماو.

أولا، لا يمكن أن نتأسف على أنه في الترجمة الفرنسية لكتاب أنفير خوجة لم يتم نقل مقتطفات ماو انطلاقا من الطبعة الفرنسية لمؤلفات ماو، لأن جملة: "من أجل، إما أن يقبلوا وجهة نظرهم أو يرفضونها" كان يمكن أن تكون "الذين يتعين عليهم الوقوف إلى جانبهم" الشيء الذي لا يعني نفس الشيء.

ثانيا - وهذا هو المهم - فإن تقطيع المقتطف يزور أطروحة ماو، بالفعل، ففي مكان النقط المتتالية، يوجد في الحقيقة محتوى نضال الفلاحين المعادي للإمبريالية والمعادي للإقطاع. إن حذف ذلك معناه تزوير فكر ماو. ويلى الجملة "المختارة" من طرف أنفير خوجة:

"أن نكون على رأس الفلاحين ونقودهم، أو البقاء خلفهم ونكتفي بنقدهم بقوة حركات سلطوية؟ أو الوقوف أمامهم من أجل محاربتهم؟ كل صيني هو حر في اختيار واحدة من هذه الطرق الثلاثة، لكن الأحداث تفرض على كل واحد أن يحدد اختياره بسرعة".

إذن، يقدم أنفير خوجة موقف ماو تجاه الحركة الفلاحية "بحذف" مضمون حركة الفلاحين في الصين في سنة 1927، والموقف التكتيكي للحزب الشيوعي الصيني تجاه هذه الحركة. هذا الموقف هو بالضبط موضوع النص المشار إليه: "وأن نكون على رأس الفلاحين وأن نقودهم".

في بداية الفصل حول ماو، يعلن أنفير خوجة أن الأعمال المختارة لماو مكونة من مواد "تم التلاعب بها بقدر كبير من العناية" بما يجعلنا نستنتج بأنه يسمح لنفسه بإعادة حقيقة النصوص إلى نصابها وذلك على طريقته؟ يبقى علينا أن نعالج المسألة في عمقها:

هل محاصرة المدن من طرف البوادي هو مرادف لهيمنة الفلاحين على الثورة؟

إليكم ما قاله ماو تسي تونغ:

"إن عدم التطور الاقتصادي اللامتساوي في الصين (التي ليس لها اقتصاد رأسمالي موحد)، شساعة ترابها (الذي يعطي للقوى الثورية إمكانية المناورة)، لا وحدة معسكر الثورة المضادة الصينية، والعديد من التناقضات التي تمزقها. إن هذه العوامل المختلفة، مضاف إليها واقع، أن نضال الفلاحين القوة الرئيسية للثورة الصينية، يقودها حزب البروليتاريا،



الحزب الشيوعي، كل هذا له نتيجة، من جهة، فالثورة الصينية يمكن أن تنتصر أولاً في المناطق الريفية، ومن جهة أخرى، ستتطور بشكل غير متساوي، ومن أجل انتصارها الشامل، ستتطلب نضالاً طويلاً وشاقاً".

نستنتج من هذا، أن محاصرة المدن من طرف البوادي لها علاقة بهيمنة الفلاحين في الثورة. كل تاريخ الثورة في الصين يشهد على أن الحرب الفلاحية لم تأخذ حجماً كبيراً<sup>3</sup>، ولم تتطور فعاليتها إلا لما أصبحت تقودها البروليتاريا والحزب الشيوعي الصيني. ويبقى أن الفلاحين هم القوة الرئيسية للثورة وليست القوى القائدة، وأن محاصرة المدن من طرف البوادي هي تكتيك ثوري يتمشى مع الوضع الملموس للصين، ففي هذا البلد الشاسع، فبدون وحدة اقتصادية وسياسية، موزع بين مختلف الدول الإمبريالية، وتحكمه العديد من المراكز السياسية، إضافة إلى العديد من الطغاة المحليين و "أسياد الحرب"، فأخذ السلطة في مدينة هامة لا معنى له، ولا يعتبر انتصاراً حاسماً (على خلاف سان بترسبورغ في روسيا).

هذا أمر معروف، لكن هناك، حيث تصبح سطحية تأكيدات أنفير خوجة حقيقة تثير الاشمئزاز، وصمته عن كون هذا الدرس عن التكتيك الثوري أدى ثمنه الشيوعيون الصينيون بدمائهم وبثمن مرتفع سنة 1927. إن هذا التكتيك لا يستثني العمل في المدن، فبدون هذا العمل الشيوعي ما كان بإمكان الثورة أن تنتصر وأن تستمر بعد الانتصار، فقد أشار ماو تسي تونغ سنة 1939:

<sup>3</sup> - لقد عرفت الصين بالفعل عدداً من "ثورات الفلاحين" (جاكري) وتمردات فلاحية عنيفة، لكن لم يكن لها أفق، لقد سحقت في الدم أو استعملت من طرف الأسياد الإقطاعيين في صراعاتهم الداخلية، هذه الحركة الفلاحية العفوية الواسعة الصينية لم تكن لها أية قيادة حازمة.

"إن التأكيد على العمل في القواعد الريفية لا يعني التخلي عن العمل في المدن وفي المناطق القروية الشاسعة، التي لا زالت تحت سيطرة العدو، فبالعكس، بدون العمل في هذه المدن وهذه المناطق ستكون القواعد الريفية معزولة، والثورة سائرة إلى الفشل. علاوة على ذلك، فإن الهدف النهائي للثورة هو الاستيلاء على المدن، القواعد الرئيسية للعدو، ولا يمكن الوصول إلى ذلك بدون أن نقوم بعمل كاف داخلها.

في الأخير، وككل تكتيك، فإن هذا التكتيك لم يستعمل دائما من طرف الحزب الشيوعي الصيني، فعندما تغيرت ظروف النضال تغير التكتيك.

هكذا، ففي مارس 1949، وفي مداخلته أمام الدورة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع، أشار ماو إلى أن مركز الثورة للحزب الشيوعي الصيني انتقل من البادية إلى المدينة، وأن انتصار الثورة في جنوب البلاد سيتم تحقيقه بالهجوم على المدن الكبيرة قبل الاستيلاء على البوادي.

إن تأكيدات أنفير خوجة حول محاصرة المدن من طرف البوادي، باعتبارها استراتيجية لهيمنة الفلاحين في الثورة لا أساس لها، وبدون تحليل جاد لواقع الثورة الصينية. لكن بإمكاننا أن نطرح سؤالاً:

هل تصرف حزب العمل الألباني في ألبانيا على خلاف ذلك في نضال التحرر الوطني عن طريق محاصرة المدن بواسطة البوادي؟

### III- التحولات الزراعية بعد 1949

لو عالجتنا قليلا الوضع الملموس في الصين سنة 1949، فبإمكاننا أن نطرح حكما على ما يسميه أنفير خوجة "مرحلة طويلة من التطور الرأسمالي". فهل في الواقع، شجع الحزب الشيوعي الصيني و ماو تطورا رأسماليا لمرحلة طويلة؟ الجواب بالنفي. في سنة 1949، كان الإصلاح الزراعي قد تم إنجازه في شمال الصين وفي الشمال الشرقي، وهي مناطق كانت تحت مراقبة الجيش الشعبي، يبقى إذن تحقيق الإصلاح الزراعي في باقي البلاد، لكن هذه المهمة تقدم صعوبات لم يسبق لها مثيل بسبب أن قوات الكيومنتانغ لم يتم سحقها بعد بالكامل في تخوم الصين، وبسبب الفوضى التي كان يوجد فيها الاقتصاد والمالية والإدارة في مناطق شاسعة تم تحريرها مؤخرا، وبسبب أعمال التخريب والممارسات المعادية للثورة ...

وفي نفس الوقت الذي كان فيه يحاول قمع الثورة المضادة، وتصحيح الوضع في الاقتصاد وحل مشكل البطالة (خاصة مع حل مجموعة من وحدات الجنود) قام الحزب الشيوعي الصيني بالإصلاح الزراعي، الذي تم الانتهاء منه سنة 1952. لقد مس هذا الإصلاح الزراعي 300 مليون من الفلاحين وهي بدون سابقة في التاريخ، ثورة ديموقراطية وطنية تم تحقيقها على مستوى قاري، مدمرة كل النظام الإقطاعي، وقامت بالقضاء على الملاكين العقاريين كطبقة، فكيف الحكم على أناس يتجهمون، واللذين يجدون، وبالتأكيد ذلك طويل جدا؟ فهل يمكن الحديث عن هذه المرحلة مع "نسيان" الوضع الملموس في الصين من 1949 إلى 1952، الصعوبات التي خلقها الهجوم الامبريالي في كوريا والالتزام الأممي للصين إلى جانب الشعب الكوري.

إن الحديث عن "طول" الثورة الديموقراطية في الصين بدون القيام بتحليل للظروف، التي كانت تجري فيها، هو بمثابة إعطاء درس في التاريخ بعيدا عن المادية التاريخية.

\* من أجل استكمال دحض تأكيدات أنفير خوجة، التي نسبها إلى ماو والحزب الشيوعي الصيني حول انتقال الثورة الديمقراطية إلى الثورة الاشتراكية، علينا كذلك النظر في كيفية الظهور الملموس للأطروحة، التي بحسبها، ماو: "ليس مع تحول الثورة الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية".

بالفعل، كيف يكون بالإمكان أن يؤكد ماركسي - لينيني بشكل هادئ هذا بدون القيام بتحليل ملموس للواقع، وكذلك الأعمال السياسية لـ ماو والحزب الشيوعي الصيني. منذ يوليو 1950، أشار ماو (مجلد 5، ص 36):

"إليكم كيف يتابع بلدنا طريقه إلى الأمام بخطى ثابتة: بعد أن مر من الحرب، يقوم الآن بإصلاحات الديمقراطية الجديدة، وعندما يصل اقتصادنا وثقافتنا إلى مستوى ازدهار كبير، وتكون الظروف الضرورية قد تجمعت، ويكون الشعب قد أعطى اتفاهه بعد تفكير ناضج، فسيدخل بدون تسرع وبطريقة ملائمة مرحلة جديدة، مرحلة الاشتراكية (1). "هذا ما يجب فعله في كل المناطق، حيث تم إنجاز الإصلاح الزراعي، ونطلب منكم أن تتحملوا مسؤولياتكم في إنجازها كمهمة ذات أهمية كبيرة" (المجلد 5، ص 73).

منذ 1951، وبينما لم يكن الإصلاح الزراعي قد تم إتمامه في مجموع البلاد، ساند الحزب الشيوعي الصيني و ماو حركة المساعدة المتبادلة و التعاون الفلاحي المقام في المناطق، حيث تم إنهاء توزيع الأراضي:

الكل يعرف أنه في هذه المرحلة جرى صراع خطوط حاد داخل الحزب الشيوعي الصيني لمعرفة هل على الصين أن تسير في طريق الاشتراكية أو أن تطور الرأسمالية، وقد أطلق الانتهازيون وسط الحزب الشيوعي الصيني شعاراً: "تعزيز نظام الديمقراطية الجديدة"، بينما عارض ماو هذا الاتجاه وبلور أطروحة الانتقال التدريجي إلى الاشتراكية عن طريق إنشاء المزارع الجماعية وإدخال النظام الجماعي في الصناعة وفي التجارة الخاصة.

"إن الخط العام للحزب مهمته العامة بالنسبة لمرحلة الانتقال، تتمثل بالنسبة للأساسي، في 15 سنة المقبلة، أو أكثر بقليل إنجاز تصنيع البلاد والتحويل الاشتراكي للفلاحة والحرف، وكذلك الصناعة والتجارة الرأسماليين" (مجلد 5، ص 97).

إنه لمن الواضح أن أنفير خوجة ينسب لماو في هذه المسألة، خط الانتهازين اليمينيين (ليو شاوشي)، أولئك اللذين حاربهم ماو، لكن في الواقع، نسي أنفير خوجة مرة أخرى القيام بتحليل لدعم أطروحته، والحال أن الخط العام للحزب الشيوعي الصيني لم يبق على الورق، بل تحول إلى قوة مادية. إن التحول الاشتراكي للفلاحة عمل جبار على صعيد الصين، فقد تم القيام به منذ "حركة المساعدة المتبادلة والتعاون" إلى "الكومونات الشعبية".

من الأشكال الدنيا للتعاون المبني مرة أخرى، على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج (مجموعات المساعدة المتبادلة) إلى الأشكال العليا من التعاون المبنية على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج (تعاونيات من نوع أعلى) ثم إلى توسيع هذه الملكية الجماعية على مستوى مجموعة أوسع (كومونة شعبية).

إن السيرورة المتبعة في الفلاحة كانت كالتالي:

خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، انطلقت عملية التحويل اللاحق لـ "الكومونات الشعبية" إلى الشعب كله (وليس فقط كملكية جماعية لأعضاء الكومونة) وقد انطلق هذا مع الانتقال من الوحدة الإنتاجية والحسابية، من وحدة الإنتاج إلى فرقة الإنتاج، وهي مجموعة أوسع.

لإعطاء مثال على وضع تطبيق لهذه السيرورة من تشريك الفلاحة، فلنشر إلى أنه خلال "القفزة الكبرى إلى الأمام" في سنة 1958 - 1960، فإن 750 ألف تعاونية أصبحت 27 ألف كومونة شعبية، ثم زاد هذا الرقم قليلا ليصبح 70 ألف، وذلك لتصحيح بعض الأخطاء اليسراوية التي تم ارتكابها خلال حركة التحويل الاشتراكي.

إن هذه لحجج لا يمكن دحضها للتحول الاشتراكي للصين، وقد تمت التحولات الاشتراكية في الزراعة الصينية عبر صراع قاس لصراع الطبقات، سواء داخل الحزب الشيوعي الصيني أو داخل المجتمع برمته. لقد حركت هذه التحويلات مئات الملايين من الأشخاص عبر بلد واسع في حجم قارة. لا يمكن لأحد اليوم أن ينكر، وتحت مبرر أن البورجوازية قد أخذت السلطة في الصين، هاته التجربة الثورية ذات البعد العالمي.

#### IV - التحويلات الاشتراكية للرأسمال الخاص

إن انتقادات أنفير خوجة ضد ماو تمس كذلك مسألة البورجوازية الوطنية، وحول هذه المسألة يجب القول أن أنفير خوجة لم يجرؤ حتى على معالجة الوقائع والسياسة الملموسة للحزب الشيوعي الصيني تجاه البورجوازية. "يؤكد ماو تسي تونغ على واقع أن هذه المرحلة بشكل مواز لتطور الرأسمالية، التي يعطيها الأولوية ستخلق مقدمات للاشتراكية".

إن البرهنة بالكامل، تنبني على تحليل قبلي، حيث حجة الأطروحة هي فقط بلورة مختلفة للأطروحة نفسها، ومن خلالها يتم تزوير فكر ماو عبر "ملخصات" مغرضة، وإيكم بعض النماذج:

"مفهوم ماو تسي تونغ حول الحرية الكاملة المتروكة للإنتاج الرأسمالي ..."

بعد ذلك، ولإبعاد أي اعتماد على مرجع "النيب" (السياسة الاقتصادية الجديدة) وعلى لينين، يسطر أنفير خوجة قائلاً، أنه في المرحلة التي اعتمد فيها لينين على نوع من التطور الرأسمالي في روسيا كانت السلطة في يد البروليتاريا، وبالتالي، فالصناعة الكبيرة بإمكانها أن تتبع السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) بدون خطر، بينما في الصين، سواء في 1949 أو 1956، فالبروليتاريا لم يكن بيدها السلطة ولا الصناعة الكبيرة.

بمعنى آخر، فالتحليل هو كالتالي:

يعترف خوجة أنه في بلد متأخر بإمكان الموقف تجاه الرأسمالية أن يتنوع حسب الوضع الملموس بعد انتصار الثورة، أي أن بعض تطور الرأسمالية ليس خطأ في المبدأ ما دامت البروليتاريا تملك السلطة والصناعة الكبيرة (مثل النيب). إذن، بدل معالجة الوضع الملموس للصين، بتحليل صحة أو خطأ الحزب الشيوعي الصيني كما يدل على ذلك المنطق، يكتفي أنفير خوجة بالتأكيد بشكل قاطع أن البروليتاريا لم يكن في يدها "لا السلطة ولا الصناعة الكبيرة"، وتكون اللعبة قد تمت، فهل هذا التصرف المثير للشفقة يليق بقائد ماركسي - لينيني؟ الذي، في أقل من ثلاث سنوات من قبل يغدق ماو بالأمداح؟

يجب مع ذلك معالجة المشكل، وهذا مشكل بالفعل للبورجوازية الوطنية في الصين بعد 1949، كل نقد التيار التصفوي العالمي، الذي غداه أنفير خوجة يزعم أنه في الصين لم تتم تصفية البورجوازية كطبقة، ولتأكيد ذلك تم الاعتماد على سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه البورجوازية الوطنية، وهنا يكمن التلاعب بالتاريخ الحقيقي.

بالنسبة لأنفير خوجة، ففي الصين، البورجوازية الوطنية تساوي البورجوازية وهذا أمر خاطئ، فعندما يؤكد خوجة بأن البروليتاريا ليس بيدها الصناعة الكبيرة فهو يكذب بشكل واع، أو أنه يجهل كل شيء عن الثورة الصينية، لقد تمت عملية تأميمها سنة 1949، لأن هذا الرأسمال كان ملكية للبورجوازية البيروقراطية الكمبرادورية، التي تم انتزاع ملكيتها.

ما ينساه النقاد، في محاولاتهم ل "البرهنة"، هو أن الصين بلد شبه مستعمر وشبه إقطاعي، انخرط في طريق الاشتراكية انطلاقاً من ثورة وطنية تقودها البروليتاريا، وفي هذه الثورة تنشطر البورجوازية إلى فئتين، جزء منها مرتبط وتابع للإمبريالية، وقد تم نزع ملكيته مباشرة، وجزء آخر يسمى "بورجوازية وطنية" أو "بورجوازية متوسطة" يجب تحويله بعد انتصار الثورة، لأنه لا يعارض بشكل عدائي مهام الثورة الديمقراطية، ويأمكنه أن يساهم في الجبهة الثورية.

إذن، فالحديث عن البورجوازية بشكل عشوائي بدون تقديم أي توضيحات، هو فيما يتعلق بالصين تزوير للتاريخ. إن هذا التقويم يقضي مسبقاً على تهاجمات أنفير خوجة حول "الصناعة الثقيلة"، ومن تم منطلق تحليله نفسه.

لكن يظل هناك سؤال آخر، وهو، هل تمت حماية البورجوازية الوطنية في تطورها الرأسمالي؟  
لقد تبني ماو تسي تونغ بشكل مفتوح الإدماج السلمي للعناصر الرأسمالية في الاشتراكية".

يريد أنفير خوجا هنا أن يوحي بنوع من التشابه في الخط بين ماو وبوخارين، والحال أنه إذا كان بوخارين يتبنى الإدماج السلمي للرأسمالي في الاشتراكية عن طريق البنك و الإدارة السوفياتية كطريق لإزالة الصراع الطبقي، فماو تبنى و مارس تشريك الصناعة الخاصة (20% من الرأسمال الكلي) عن طريق رأسمالية الدولة، وذلك عن طريق الصراع الطبقي بين البورجوازية و البروليتاريا.  
" في الصين، كان من المتوقع أن يستمر الحفاظ على الإنتاج الرأسمالي إلى أجل غير مسمى تقريباً".

لقد برر أنفير خوجة صمت حزب العمل الألباني في الماضي حول ماو "الانتهازي" من خلال حقيقة أنه كان يجهل حقيقة الوضع في الصين، لكن هذا النوع من الحجج (التبرير) يبين أنه قرر أن يعبر قبل أن تكون لديه معرفة حتى وإن كانت أولية في الثورة الصينية.

ماذا كانت عليه في الحقيقة ممارسة حزب العمل الألباني تجاه البورجوازية الوطنية؟  
منذ مارس 1949، أشار ماو تسي تونغ:

"عندما ستنتصر الثورة الصينية في كل البلاد، وأن المشكل الزراعي سيكون قد تم حله، فهناك تناقضان أساسيان سيظلان متواجداً في الصين، الأول ذو طبيعة داخلية، وهو التناقض بين الطبقة العاملة والبورجوازية، والثاني ذو طبيعة خارجية، وهو التناقض بين الصين والامبريالية، لهذا السبب، فبعد انتصار الثورة الديمقراطية الشعبية، لا يجب أن تضعف سلطة الدولة للجمهورية الشعبية تحت قيادة الطبقة العاملة، بل تتقوى.



إن الحد من الرأسمال في الداخل، ومراقبة التجارة الخارجية، سيكونان المبدآن السياسيان الأساسيان للبلاد في صراعها الاقتصادي" (مجلد 4، ص 388).

إن سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه البورجوازية الوطنية كانت تطبق تقريبا هكذا:

- 1 - مباشرة بعد انتصار الثورة، كانت هناك فترة تنظيم المالية، التجارة والصناعة على أساس تخطيط شامل، تنظيم الاقتصاد كما هو: قطاع الدولة، قطاع خاص رأسمالي، إنتاج صغير منبثق عن الإصلاح الزراعي الجاري إلخ ...
- 2 - بدأت حركة النضال الأولى ضد البورجوازية الوطنية منذ 1951 مع نضالات سانفان و ووفان. كانت أهداف حركة سانفان: النضال ضد الرشوة، التبذير والبيروقراطية داخل الحزب وأجهزة الدولة، وكانت أهداف حركة ووفان (بداية 1952):
  - تحقيق حول واقع الشركات الخاصة بهدف التخطيط.
  - تصفية البيروقراطيين المرتشين من أجل إقامة خط حدود واضح بين البروليتاريا والبورجوازية وسط النقابات.
  - تخليص الجمعيات والمنظمات البورجوازية من العناصر التي تحتال على الدولة، توزع كؤوس الخمر إلخ ... ("العيوب الخمسة").
  - الزيادة في الشراء والبيع من طرف الدولة للمنتجات المصنوعة من طرف الصناعة الخاصة (وسيلة مراقبة وإخضاع) ومن هنا تقوية التخطيط.
  - إلغاء المحاسبة السرية ومراقبة التدبير بواسطة العمال.
  - تنظيم خلايا الحزب في جميع الشركات الخاصة، الكبيرة والمتوسطة.

3 - كان النضال في المرحلة الثالثة ضد البورجوازية الوطنية يقوم على انتقال كل الصناعة والتجارة الخاصة داخل إطار رأسمالية الدولة تحت أشكال مختلفة (رؤوس أموال مختلطة، التزويد بالمواد الأولية وشراء السلع من طرف الدولة) ولم يبلغ الربح الرأسمالي بل حدد في 20,5% من الربح العام للشركات.

4 - في 1956، يعني سبع سنوات فقط بعد انتصار الثورة، كانت الصناعة والتجارة الرأسمالية للبورجوازية الوطنية تغطيها القطاعات المختلطة ذات رؤوس أموال خاصة و رؤوس أموال الدولة، "الرأسمال الخاص" يكون مدفوعا فقط بواسطة فائدة محددة على الرأسمال في 5%. إنه شكل من أشكال استرداد البورجوازية الوطنية بواسطة سلطة البروليتاريا. قال ماو في هذا الصدد:

**"من أجل قدر متواضع من المال نشري طبقة بأكملها"** (انظر مجلد 5، ص 387).

في الشركات التي تمتلكها الدولة بصفة مشتركة مع الخواص، فإن الرأسماليين لا يقبضون على أي سلطة إدارية حقيقية. لا يوجد تدبير مشترك للإنتاج من طرف ممثلي الحكومة ومن طرف الرأسماليين، لذلك، فمن الخطأ القول، أنه في هذه الوضعية **"كان استغلال العمل من طرف الرأسمال محدودا، كان في الواقع محدودا إلى أقصى درجة"** ("ماو وبناء الاشتراكية"، سوي، ص 99 - 100).

5 - حذف الفائدة المحددة خلال الثورة الثقافية. إنه الإنهاء لسيرورة التحويل الاشتراكي للصناعة والتجارة الخاصة التي تمتلكها البورجوازية الوطنية.

نرى جيدا كيف أن الحزب الشيوعي الصيني قد ترك "الحرية الكاملة" للعناصر الرأسمالية! سبع سنوات فقط بعد انتهاء الثورة الصينية، كانت البورجوازية الوطنية مجردة من وسائل إنتاجها، بينما تمت إعادة تنظيم الزراعة في تعاونيات.

في الاتحاد السوفياتي سنة 1933، بما يعني 16 سنة بعد انتصار أكتوبر، كانت فقط 60% من الاستغلاليات الفلاحية قد تحولت إلى كولخوزات و سوفخوزات. إننا لا نورد هذا الرقم من أجل حكم قيمة للمقارنة، وإنما نريد القول أن روسيا عرفت أربع سنوات من الحرب الأهلية و التدخلات الامبريالية، بينما كانت الصين، بشكل واسع جدا مساعدة من طرف الاتحاد السوفياتي و المعسكر الاشتراكي، فنحن عندما نورد هذا المثال فلنضع حكم أنفير خوجة حول الثورة الصينية في مكانه. "لم يربط ماركس يديه ولم يعرقل في شيء صناع الثورة الاشتراكية المستقبلين فيما يتعلق بالأشكال، العمليات وأساليب الثورة لا تحتوى جيدا إلا على مشاكل جديدة و عديدة تنشأ في تلك المرحلة. إن الوضعية تتغير تماما خلال الثورة، وأنها ستستمر في التغيير أحيانا وبشكل واضح شيئا فشيئا مع التقدم الذي تحققه الثورة"

أما الغرور المعلن من طرف أنفير خوجة المتعلق بالوسائل، التي تم وضعها موضع التنفيذ من أجل تحويل الرأسمال الخاص وتجميعه فهو صبياني، خاصة أنه إذا طبق الحزب الشيوعي الصيني في الظروف الملموسة للصين، الانتقال عبر رأسمال الدولة واسترداد جزء من البورجوازية، فمعروف جدا أن هذه الوسائل لم يتم "اختراعها" من طرف ماو، ولكن من طرف الحزب البلشفي، لينين وستالين، فقد أشار لينين سنة 1918:

"لم يقم ماركس بتكتيف يديه ولا بعرقلة في أي شيء الصناعات المستقبلية للثورة الاشتراكية سواء في الأشكال أو الإجراءات أو الطرق الخاصة بالثورة لأنه كان مدركا بالكامل أن مشاكل جديدة وعديدة ستنبثق في هذه المرحلة وأن الوضع سيتغير بالكامل خلال الثورة، وبأنها ستستمر في التغيير في غالب الأحيان وبشكل كبير بقدر ما تتقدم الثورة".

ثم بعد فحص الوضعية الملموسة لروسيا، فقد خلص لينين إلى أنه يجب مزاوجة الأسلوب القمعي "مع عمليات التوافق أو استرداد (الشراء) تجاه الرأسماليين المثقفين، اللذين يقبلون "رأسمالية الدولة"، قادرون على تطبيقها و يبينون أنهم

نافعون للبروليتاريا بصفتهم منظمين أذكياء و خبراء مقاولات الأكثر أهمية قابلة لضمان التزويد الفعال لعشرات الملايين من الناس" (لينين، مجلد 27، ص 360).

قال لينين عن " شيوعي اليسار"، اللذين وصفوه ب "الموفق":

"... كل العبارات حول الصلح والتفاهم مع البرجوازية هي مجرد لغو خالص" (مجلد 27، 326).

اتخذت رأسمالية الدولة في روسيا عدة أشكال مثل التعاونيات، وتنازلت للرأسمال الأجنبي على بعض الأنشطة الاقتصادية... كل هذه الأشكال تم جعلها ضرورية نظرا لوضع روسيا (فوضى وهيمنة عنصر البورجوازية (الصغيرة). أما في الصين فقد استعملت أشكال أخرى.

أخيرا في روسيا كما في الصين، فقد تم تجريد البورجوازية من ممتلكاتها وهذا هو المهم. بدون شك، فإن كل أشكال الأخطاء كان لابد أن تقع في سيرورة ثورية من ذلك الحجم في بلدان بورجوازية صغيرة بشكل كبير، لكن أي نطاق عملي يمكن أن يكون لحكم أولئك اللذين يجدون أنه بالتأكيد أن هذا لم يتم بالسرعة الكافية؟ أو اللذين يجدون "انتهازيا" كون أن البروليتاريا لم تجرد البورجوازية الوطنية ب"حزم".

إن آخر تحذلق، أن يتم الاندهاش من كون "موظفين بورجوازيين" يستمرون في إدارة الصين بعد 1949، أو تستمر البورجوازية الوطنية في المساهمة في تدبير الاقتصاد بعد الاستيلاء على السلطة. من هم أولئك الآخرين اللذين يمكن للبروليتاريا أن تضعهم في مكانها؟ إن موقفا "حازما" لا يمكن قياسه بمقياس "شيوعية نقية"، إنها تقاس بقدرة الشيوعيين على تحويل العالم، بتبني إجراءات ملائمة لواقعهم الملموس، وهذه الإجراءات يمكن أن تكون تراجعات ظرفية، توافقات أو هجومات "حازمة" حسب الظروف، لكن الذي يهم هو اتجاه السير وليس هذا أو ذاك الانعراج الذي تفرضه الظروف.

لقد أشرنا إلى أن التحويل الاشتراكي للصين كان نتيجة هيمنة البروليتاريا في الثورة، وكانت حقيقة لا مرء فيها، يمكن التحقق منها بسهولة في الوثائق التي تتوفر عليها. أما أنفير خوجة فيعني أن "الصين لم تتقدم أبدا في الطريق الصحيح للثورة الاشتراكية"، وللخروج من التناقض بين حقيقة راسخة ومنطقه فقد كتب في ص 448:

"بعد التحرير كانت الصين مسرحا لتحويلات إيجابية متعددة، فقد تمت تصفية السيطرة الامبريالية الأجنبية وكبار الملاكين العقاريين، تمت محاربة الفقر والبطالة، تمت مباشرة سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لصالح الجماهير العمالية، تم النضال ضد التأخر في ميدان التربية والثقافة، اتخذ مجموعة من الإجراءات لبناء البلاد التي دمرتها الحرب، وقد تم كذلك تحقيق بعض التحويلات ذات طبيعة اشتراكية. في الصين، حيث كان الناس في الماضي يموتون من المجاعة بالملايين، فهذا الشر ضمن شرور أخرى تم القضاء عليه، هذه هنا وقائع لا نقاش فيها وانتصارات هامة للشعب الصيني".

دعونا نعجب بهذه الانتصارات المنسوبة إلى "نحن" وللشعب الصيني وحده، لكن يتم إنكارها كبرهان على صحة قيادة الحزب الشيوعي الصيني وقيادة ماو. دعونا نعجب بهذه الانتصارات المعروضة في نهاية الصفحة، ولكن هي حميدة (غير ضارة) أو "عادية" ولا تدخل في شيء كعنصر في منطق (تحليل) أنفير خوجة. إذن، يجب إعطاء تفسير لنا عن كيف يمكن لمثل هذه الانتصارات في بلد كالصين تحقيقها تحت قيادة خط انتهازي، لمنظر معادي للماركسية:

"إن المفاهيم السياسية والإيديولوجية غير الماركسية الانتقائية البورجوازية لماو تسي تونغ، قدمت للصين المحررة بنية تحتية غير مستقرة، تنظيم دولتي واقتصادي فوضوي، الذي لم ينجح أبدا في أن يستقر. لقد وجدت الصين نفسها في اضطراب مستمر بل فوضوي، الاضطراب الذي شجع عليه ماو تسي تونغ نفسه بشعاره "يجب الإزعاج من أجل التوضيح"."

فكيف لبنية تحتية بهذا الشكل، إلخ ... أن تنتج هذا الكم من النجاح والانتصارات؟ لماذا يسعى أنفير خوجة إلى إنكار الوقائع الأكثر بديهية من أجل دعم لائحة اتهامه ضد ماو تسي تونغ وضد الحزب الشيوعي الصيني؟ سنرى أن موقفا مثل هذا يغطي مواقف نظرية وسياسية انتهازية بشكل صريح.

في نظرنا لأنه يعطي أهمية حاسمة لـ "الأشكال"، التي يكون بعضها نقي و بعضها غير نقي، لأنه لا يفهم منعرجات صراع الطبقات المعقد، الذي جرى في الصين، من أجل الوصول إلى التحويل الاشتراكي، كذلك، فإن أغلب تحليلاته تتعارض مرارا مع الأساليب المفترض أنها "جدرية" مع أساليب أخرى تعتبر "لبرالية" أو انتهازية، بدون أن يدخل في أي وقت من الأوقات الحقيقة و الوقائع في تحليله، وأيضا من أجل التغطية على ضعف براهينه، التي يقترحها بدون انقطاع على القارئ، أن الصين كان يمكن أن تكون فوضى واسعة حقيقة غامضة من المستحيل الإمساك بها.

### الفصل الثالث

#### هل الحزب الشيوعي استثناء في الديالكتيك؟

يستحق السؤال أن يطرح عندما نقرأ الانتقادات الموجهة من طرف أنفير خوجة إلى ماو حول مسألة "صراع الخطوط" والتناقضات الداخلية، إلى تنظيم الطليعة.

#### 1 - ماو، مراجعة وتصحيح

"إن ماو تسي تونغ نفسه تبنى ضرورة وجود خطين في الحزب".

هذه الآراء تتعارض تماما مع التعاليم اللينينية حول الحزب الشيوعي كفصيل منظم و طليعة، التي يجب أن تكون مسلحة بخط وحيد و وحدة فكر و ممارسة فولاذية" ص 421.

يوجد مرة أخرى في هذا العرض تزوير لموقف ماو حول مسألة تشكل واحدة من إسهاماته الأساسية. كتب ماو:

"إن المعارضة والصراع بين المفاهيم المختلفة تظهر باستمرار في وسط الحزب، إنها الانعكاس داخل الحزب لتناقض الطبقات (التناقضات الطبقيّة والتناقضات بين الجديد والقديم القائم وسط المجتمع" (مجلد 1، ص 354).

"نغني الأممية منذ خمسين سنة، وفي حزبنا، حصل أن أناسا يبحثون عشرات المرات عن خلق الانشقاق. في نظري، فهذا يمكن أن يتكرر عشر مرات، عشرين مرة، ثلاثين مرة، ألا تظنون ذلك؟".

ليس موقف ماو هو أن الشيوعيين عليهم "خلق" أو "تمني" أن تكون هناك عدة خطوط داخل الحزب.

إن الحزب لا يعيش فوق المجتمع، فهو في معمعانه (في قلبه)، وتنعكس بالضرورة داخله التناقضات الموجودة داخل المجتمع. إن صراع الخطوط (الأفكار، الآراء) بين الماركسية والانتهازية، هو الانعكاس وسط الحزب للتناقض الذي يوجد داخل المجتمع الاشتراكي بين البورجوازية والبروليتاريا. إنها توجد في استقلال عن إرادتنا.

لا "يدافع" ماو عن صراع الخطوط، ولكنه يحلل هذا الصراع كانعكاس داخل وعي الناس لظاهرة موضوعية. لا يمكننا أن نكون "مع أو ضد" شيء يوجد في استقلال عن إرادتنا. لا يمكن إلا أن نتعلم كيف نعرف لكي نغير.

إن أنفير خوجة يقوم بمعارضة وحدة الحزب، الذي سيكون هو بطلها، بصراع الخطوط، حيث يقوم ماو بدور المحرض عليها. إن هذا الشكل في طرح السؤال يعتبر ميتافيزيقيا:

"وحدة الحزب، ووحدة الحزب مع الشعب، هذا هو، للوصول إلى نهاية وضعيات صعبة، كئزان لا يقدران بثمن، والذي يجب على كل رفاق الحزب الحفاظ عليهما بكل عناية" ماو، "بيكين أنفورماسيون"، عدد 29، 1972.

يمكن أن نورد عشرات النصوص، يتحدث فيها ماو عن وحدة الحزب الشيوعي الصيني وضرورتها، وقد قاد عبر تاريخ الثورة الصينية عشرات الصراعات، كبيرة وصغيرة من أجل وحدة ماركسي - لينيني الحزب الشيوعي الصيني وضد الانتهازية. إذن

هو ليس مؤيدا لا للانقسامات، ولا هو خصم حزب من النوع اللينيني، فما لا يفهمه أنفير خوجة، هو الظروف التي تتحقق فيها وحدة الحزب.

إن الحزب هو وحدة الأضداد كما هو الحال بالنسبة لكل ظاهرة، و وحدة الحزب تتحقق عن طريق صراع هذه الأضداد: إنه القانون العام للديالكتيك، و لا يمكن أن يكون هناك لأي حزب شيوعي وحدة تم إنتاجها بشيء آخر غير صراع الخطوط داخله.

إن الحديث عن وحدة الحزب أمر صحيح جدا، إذا أردنا أن نشير انطلاقا من هنا إلى "الهدف" الذي يتبعه الشيوعيون بدون انقطاع، بالنضال ضد الأفكار والاتجاهات الخاطئة، لكنه أمر خاطئ جدا.

إن التأكيد من جانب واحد على "الوحدة" من أجل تمييز حياة الحزب نفسه، و وحدة الأضداد مشروطة، عابرة ونسبية، بينما صراع الأضداد هو مطلق. إنه قانون عام في الديالكتيك الذي يطبق على الحزب. يعني هذا أيضا، أن وحدة الحزب تتحقق، في مرحلة محددة، كنتيجة للصراع بين الماركسية والتحريفية إلى مستوى معين، وبمجرد ما تتحقق هذه الوحدة يتطور صراع جديد، الذي سينتهي بوحدة من مستوى أعلى "وحدة - نقد - وحدة"، ذلك هو القانون الأساسي لبناء الحزب و حياة الحزب نفسها.

يعارض أنفير خوجة ماو بأطروحة ستالين حول "الحزب المونولوتيكي" (ص 422): بدون إنكار مزايا ستالين في الدفاع عن دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي، يجب الاعتراف جيدا أن هذه الأطروحة خاطئة ولا تتناسب مع المادية التاريخية، التي، زيادة على ذلك، يبين التاريخ أنها كانت خاطئة: هذا الحزب "المونولوتيكي" ألم ينتج عصا بأكملها من التحريفيين، اللذين وضعوا خروتشوف في السلطة؟



طبعاً، فإن الهجوم على أطروحات ماو الماركسية - اللينينية لا يمكن أن تتم "من الخارج"، بإنكار بشكل فظ، حتى بوجود صراع داخل الحزب كانعكاس لصراع الطبقات. إن الهجوم إذن، يمارس "من الداخل"، إنه خفي وصعب على الإدراك. وبما أن كتاب أنفير خوجة كاريكاتوري للغاية حول هذا الموضوع، فيجب الرجوع إلى العدد 1 - 1978 من "ألبانيا اليوم"، حيث عولجت المسألة من طرف ن. بلاساري.

في هذا المقال "يعترف" بلاساري بوجود صراع الطبقات داخل الحزب، لكنه يبتعد عن التحليل الماركسي - اللينيني لماو حول هذا الصراع. هذا المقال سنتفحصه الآن من أجل معالجة المسألة في العمق:

## II - من أين يأتي صراع الخطوط؟

في هذا المقال، فالصراع داخل الحزب ليس مرتبطاً بشكل منهجي بالظروف الموضوعية التي تجعله حتمياً في المجتمع الاشتراكي. بطبيعة الحال، قيل أنه يجب ربط الصراع داخل الحزب بصراع الطبقات داخل المجتمع، لكن صراع الطبقات هذا لا ينظر إليه إلا كصراع ضد بقايا المجتمع القديم الغريب عن الاشتراكية. لم يتم التعامل، في أي وقت من الأوقات، وجهاً لوجه مع الأطروحة، التي بحسبها أن الاشتراكية كمجتمع انتقالي نحو الشيوعية يتضمن - بالتعريف - وليس بتغيير مبادئها ببقايا الرأسمالية مثل القانون البورجوازي، اللامساواة، والاختلافات بين المدينة والريف، العمل اليدوي والفكري، عمال وفلاحين إلخ ...

يتم طرح أقل من تلك الأطروحة التي وفقاً لها تنتج إلى حد ما داخل المجتمع الاشتراكي هذه البقايا من عناصر بورجوازية، التي تتجه نحو تشكيل خط يذهب نحو توسيع اختلافات وعدم مساواة<sup>4</sup>.

<sup>4</sup> انظر حول هذه النقطة كراستنا: "دكتاتورية البروليتاريا، الانتقال الوحيد نحو الشيوعية".

هذه هي القواعد الموضوعية، التي تشكل حسب ماو، المنبع الأول لصراع الخطوط داخل الحزب، بعد تحويل ملكيات وسائل الإنتاج. لعدم وجود تمسك بهذا التحليل العلمي، يقدم الكاتب الصراع الداخلي في الحزب كأنه وجد منبعه (مصدره) في بقايا من نوع إيديولوجي صرف<sup>5</sup>، أو في "تسريبات" أعداء طبقيين يثيرها الخارج، وليس أبدا في صراع الطبقات داخل المجتمع. "كما نعلم ذلك، مرة مرة يخرج أعداء وخونة من صفوف الحزب لم يكونوا يمثلون إلا عددا قليلا، لكن الخطر الذي يشكلونه مع ذلك كان عظيما.

إن الخطر لم يأت لا من عددهم، ولا من دعم محتمل وجد داخل الحزب وداخل الشعب، لأنهم لم يستفيدوا من هذا الدعم. إن كانوا وضعوا الحزب، ودكتاتورية البروليتاريا، والنظام الاشتراكي في مجموعته في خطر، فقد نجحوا، انطلاقا من

---

مقالة "ألبانيا اليوم" التي ننتقدها هنا ستستحق مزيدا من التطوير. إننا نتمسك هنا بالانتقادات الأساسية، لكن الخاصية العامة لهذا المقال كونها "الانتقائية" تشير على القارئ أن يرى في انتقاداتنا، ليس إدانة ل "الذي لم يقال" في هذا المقال لأنه بالضبط كل شيء قيل، لكن إدانة للمكان الذي تحتله بعض الأطروحات وخاصة العلاقات بين الظواهر كما يعرضها المقال. يعرض المقال مسألة الصراع الداخلي في الحزب بهذا الشكل " هذا مهم ... لكن هذا أيضا " بدون نسيان هذا المظهر ... " بينما على التحليل الماركسي بالضبط أن يوضح العلاقات بين الأشياء و "المظاهر".

<sup>5</sup> وجب تسجيل أن الأطروحة، التي بحسبها أن الصراع داخل الحزب هو، بالأساس، صراع إيديولوجي ليس بالجديد. كان هذا بالفعل التفسير الذي قدمه ليو شاوشي لظهور صراعات داخل الحزب: "في الجوهر والمحتوى هي في العمق صراع إيديولوجي" (أخبار بكين، عدد 46، 1968).

المهام الأساسية التي تقلدوها في الأجهزة القيادية للحزب، في السلطة، في الاقتصاد وفي الجيش، وضعوها في خطر أيضا لكونهم كانوا عملاء أعداء الخارج".

إن هذا التفسير خاطئ، فالخطر يأتي بالتحديد من أولئك اللذين يحصلون على سند من الداخل، من حقيقة، أنه حتى وإن كان المجتمع اشتراكيا فما زال مجتمعا تتصارع فيه الطبقات. من حقيقة، أنه خلال الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية، يستمر في المجتمع نفسه بقايا المجتمع الرأسمالي، وبشكل لا يمكن تفاديه، تتجه عناصر بورجوازية وسط الحزب إلى توسيع هذه "البقايا" وتطويرها، ويشكلون بهذا الهدف خطأ سياسيا من أجل استعادة السلطة والذهاب بهذا التطور إلى الإعادة التامة للرأسمالية.

إذا فصلنا بهذه الطريقة ظهور اتجاهات انتهازية داخل الحزب عن أساسها الموضوعي داخل المجتمع نفسه، فلا يمكننا إعطاء تفسير علمي للصراع داخل الحزب، هذا سيقودنا إلى تفسير هذه الظاهرة بشكل مثالي ميتافيزيقي، يعني أنهم إما "خونة"، وأنهم كانوا كذلك دائما، وأنهم "تسربوا" عن عمد من أجل تقويض الحزب، أو أنهم جواسيس، عملاء الخارج. إن المقال لا يفلت من هذه التفسيرات السطحية.

سنرى أن الأمر يتعلق "فقط" بتفسير سطحي وجزئي يهتم العلاقات بين الحزب والمجتمع الاشتراكي، بل بمجموعة من المفاهيم والمجتمع والحزب.

### III - طريق أو خط: مشكل ذو دلالة

يجب ربط هذا التحليل الخاطئ بالتمييز الماكر، الذي يدخله حزب العمل الألباني بين "صراع بين طريقين" و "صراع بين خطين":

" لا يجب الخلط بين الصراع بين طريقتين والصراع بين خطين، فالصراع بين الطريق الاشتراكي والطريق الرأسمالي للتطور، الذي يشمل أيضا الصراع بين الإيديولوجية البروليتارية والإيديولوجية التحريفية هو قانون موضوعي، بينما الصراع بين خطين سياسيين متعارضين فهو ظاهرة ذاتية، التي تظهر وتتطور في ظروف محددة عندما يسمح الحزب بأن تخلق تيارات تقسيمية خطأ معاديا للماركسية وسطه".

إن المسألة هنا مضببة: بالفعل، سواء كانت أفكارا، طرقا أو خطوطا، فإن الأمر يتعلق دائما بظواهر ذات طبيعة ذاتية. إن التعارض بين "القانون الموضوعي" و"الظاهرة الذاتية" هو من الناحية النظرية أمر لا معقول، فإن ما هو مطروح، هو معرفة ما إذا نعم أم لا، أن صراع الأفكار والطرق أو "الخطوط السياسية المتعارضة" هو انعكاس داخل الحزب لظواهر موضوعية، وبالتالي يتعلق الأمر بمعرفة ما إذا نتجت هذه الصراعات لا محالة باستقلال عن إرادتنا. عن هذه الأسئلة، يجيب ن. بلاساري كالتالي:

"يوجد خطر كبير ودائم لخلق تيارات تقسيمية وخطوط متعارضة معادية للماركسية في صفوف حزب الطبقة العاملة. لكن (...) ولادة وتبلور مثل هذه التيارات ومثل هذه الخطوط ليس أمرا حتميا".

بالنسبة للكاتب إذن، يمكن أن تظهر وسط الحزب أفكار مختلفة وآراء متباينة، باختصار، تناقضات غير عدائية من طبيعة إيديولوجية بالأساس. هذا لا يمكن تلافيه، لكن "ولادة وتشكل" اتجاهات وخطوط متعارضة فهذا أمر ليس ممكنا عدم تلافيه: إذا نتج ذلك فلإن الحزب ارتكب أخطاء فادحة. كيف يمكن الحسم في هذه المسألة؟

لا يمكن حسم هذه المسألة إلا بطريقة واحدة: حسب الصورة التي عندنا عن المجتمع الاشتراكي نفسه. خارج أي تمييز حاذق وبدون معنى كبير حتى، لو أخذنا بعين الاعتبار فقط معنى الكلمات، بين "طريق" و "خط"، فإن كاتب المقال يعبر عن تحليل للحزب وثيق الصلة بمفهومه للمجتمع نفسه.

إن كل أنواع التناقضات التي توجد في المجتمع الاشتراكي، والتي لها، بدرجات مختلفة، انعكاساتها داخل الحزب الشيوعي: قادة - مقودين، عمال - فلاحين، شباب وشيوخ، إلخ ... كل هذه التناقضات هي من طبيعة غير عدائية، وتنعكس بالضرورة داخل الحزب على شكل أفكار مختلفة وتنوعات وآراء ... وإذا كانت هذه التناقضات غير العدائية بطبيعتها، قد تصل إلى إنتاج خطوط واتجاهات عدائية داخل الحزب، فهذا بدون شك الحجة على أن الحزب لم يعالجها بشكل صحيح.

في هذه الحالة، فالعدائية وصراع الخطوط المتعارضة ليس حتميا شريطة ألا يرتكب الحزب أخطاء فادحة. لكن هل يوجد في المجتمع الاشتراكي تناقض عدائي بالطبيعة؟ نعم، التناقض بين البورجوازية والطبقة العاملة هو عدائي، وهو التناقض الرئيسي للمجتمع الاشتراكي. إن انعكاس هذا التناقض داخل الحزب ينتج بالضرورة تعارضات في الخطوط، بل حتى اتجاهات في بعض اللحظات، وهذا في نفس الوقت يعود إلى طبيعة هذا التناقض وإلى مكانة الحزب في المجتمع الاشتراكي، باعتباره الحزب القائد الوحيد، فيصبح النقطة الأكثر حساسية للصراع بين البورجوازية والطبقة العاملة.

إنه لمن الحتمي، خلافا لما يؤكد أنه أنفير خوجة ون. بساري، فإن تناقضا عدائيا في المجتمع، ينتج في ظروف محددة، تناقضات عدائية داخل الحزب، ما عدا إذا اعتبرنا الحزب كجسم غريب عن المجتمع، إنه قانون موضوعي<sup>6</sup>.

<sup>6</sup> لا يتعلق الأمر هنا بطبيعة الحال بالادعاء بأن الحزب هو المرآة الصحيحة للمجتمع الاشتراكي، تظهر التناقضات داخل الحزب بشكل مختلف عما في داخل المجتمع.

في المقام الأول تظهر على ساحة الماركسية - اللينينية، تحت شكل ماركسية - لينينية مقتضبة (مقطوعة)، مخففة، إنها التحريفية، لكن التناقض في العمق بين الماركسية والتحريفية داخل الحزب هو انعكاس للتناقض بورجوازية - طبقة عاملة. وفي المقام الثاني، فالقواعد، انتقاء الأعضاء، تطهير الحزب من العناصر المتذبذبة والتي لا يمكن إصلاحها. كل هذا يعمل على أن الحزب ليس مرآة للمجتمع، بل منظمة طليعية. لكن أن يتم التصور أو حسب قاعدة معينة أو بتطهير جذري، سيمنع هذا صراع الخطوط من التواجد كانعكاس للتناقض بين البورجوازية والطبقة العاملة، فذلك مثالية خالصة.

عندما ينكر كتاب ن. بساري وكتاب أنفير خوجة التناقض العدائي وسط الحزب كانعكاس للتناقض داخل المجتمع، فعلياً إذن، أن نربط رأيهما حول مسألة الحزب، بالتحليل الذي يقدمونه عن المجتمع الاشتراكي. بتعبير آخر، إن التناقضات العدائية وسط الحزب، باعتبارها قانوناً موضوعياً، يمكن أن يكون ببساطة نتاج نفي التناقضات العدائية داخل المجتمع الاشتراكي، وليس فقط خطأ جزئياً حول العلاقة بين الحزب والمجتمع الاشتراكي، الذي تم تحليله بشكل صحيح. لا شيء إذن، يمنعنا من تقريب أطروحات أنفير خوجة حول الحزب من تحليل الطبقات في المجتمع الاشتراكي، والحال أن حزب العمل الألباني يقدم هكذا تحليل:

"لدينا مجتمع يتشكل من طبقتين صديقتين (الطبقة العاملة والفلاحون الاشتراكيون) ومن فئة المثقفين، التي تتميز علاقاتها بالتحالف والتعاون والمساعدة المتبادلة" راميز عالية في "ألبانيا اليوم"، 1976/2.

"بشكل موازي لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين التعاونيين، والذي على أساسه تأسست دولتنا الاشتراكية، هناك الإشارة (في الدستور الألباني) إلى أن الجمهورية تعتمد على وحدة الشعب، بالإضافة إلى الإشارة إلى فكرة الوحدة، يتم إبراز خصوصية هامة جداً لمجتمعنا الاشتراكي، والذي تميزه عن المجتمع البورجوازي، الذي يوجد في حالة انقسام وتنخره تناقضات عدائية. إن هذه الوحدة هي واقع في ألبانيا الجديدة الاشتراكية، إحدى الانتصارات اللامعة للاشتراكية وللحزب، قوة كبيرة محركة وجديدة للمجتمع". نفس المرجع. يظهر واضحاً من هذه المقتطفات<sup>7</sup> أن كل طبقة، وكل تناقض عدائي، قد اختفى من التحليل، الذي يقوم به حزب العمل الألباني لألبانيا الاشتراكية.

<sup>7</sup> يمكن إيراد عشرات الأقوال مشابهة مأخوذة من نصوص حزب العمل الألباني ولا يتعلق الأمر بتاتا بأقوال معزولة.

كيف يمكن لنا في هذه الظروف أن نتعجب من أن ن. بلاساري وأنفير خوجة يقدمان تحليلاً خاطئاً للحزب في ظل الاشتراكية؟ فإذا لم يكن هناك تناقضات عدائية داخل المجتمع، فمن الواضح إذن أن الحزب لا يمكنه أن يعكس إلا تناقضات غير عدائية.

إن هذا التحليل الخاطئ للمجتمع وللحزب، يضع حزب العمل الألباني في وضع معقد: فكيف يمكن تفسير، أنه داخل المجتمع تجري صراعات طبقية حادة (هذا لا يعترف به حزب العمل الألباني) وفي نفس الوقت الإنكار الجذري لوجود البورجوازية أو التناقض العدائي بشكل عام؟

يمكننا على قاعدة هذا التحليل الخاطئ، إعادة إنتاج الأخطاء الموجودة منذ القديم داخل الحركة الشيوعية العالمية، والتي تتمثل في رؤية العدو في الخارج أو على شكل عملاء الخارج.

إن هذا التفسير المناهض للتحليل العلمي الذي أشرنا إليه أعلاه (انظر II). إن هاته الأخطاء هي خطيرة جداً ولا يمكنها إلا أن تفقد حزب العمل الألباني سلاحه، وكذا الشعب الألباني في نضالهما ضد البورجوازية القديمة والجديدة. خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى أشار ماو تسي تونغ:

**"إننا نخوض الثورة الاشتراكية ولا نعرف حتى أين توجد البورجوازية".**

ألا تنطبق هذه الملاحظة بشكل عجيب على أنفير خوجة و ن. بلاساري، وكذلك حزب العمل الألباني؟

**IV - ماو تسي تونغ يستخلص دروس تاريخ الحركة الشيوعية العالمية**

لأن أطروحات أنفير خوجة حول العلاقات بين الحزب والمجتمع الاشتراكي، وحول لا حتمية صراع الخطوط داخل الحزب، ليس فقط تكذيبها النظرية الماركسية - اللينينية، بل أكثر من ذلك تم تكذيبها من طرف كل تاريخ الحركة العمالية، كل تاريخ

المنظمات والأحزاب البروليتارية، يبين أنه باستمرار، مرت بصراع خطوط، بصراع بين الماركسية والتحريرية، فلم يكن أي حزب استثناء.

في بعض الأوقات متعددة نسبيا، تشكلت علاوة على ذلك اتجاهات وحدثت انقسامات. ليست هناك حاجة لإثبات ذلك فيما يتعلق بتاريخ الحزب البلشفي، لقد خاض لينين صراع خطوط لا ينقطع من أجل الحفاظ على الخط الماركسي - اللينيني وسحق الخطوط الانتهازية، ضد "الاقتصاديين"، المناشقة، "التصفويين" "الباحثين عن الله"، التروتسكيين، "شيوعي اليسار"، المعارضة العمالية إلخ ...

حتى بعد وفاة لينين، وحتى بعد أن ارتكب ستالين الخطأ الذي أشرنا إليه حول "الحزب المونولوتيكي" وحول تحليل التناقضات الداخلية للمجتمع الاشتراكي، فصراع الخطوط، وفي بعض الأحيان تشكيل اتجاهات انتهازية، ظل كذلك موجودا. هذه حقائق لا تقبل الدحض، وجدارة ماو هي بالضبط كونه استخلص الدرس العام، مصححا المفاهيم الخاطئة بقوة وسط الحركة الشيوعية العالمية.

لقد تطورت داخل الحزب الشيوعي الصيني صراعات خطوط عديدة، هذا معروف، لكن أنفير خوجة بعيدا عن تحليل هذه الخطوط، كخطوط سياسية ثمينة بالنسبة للبروليتاريا العالمية باعتبارها تجارب، فهو يعرض أكبر ازدراء لهذه "النزعة التكتلية". إن القيام بذلك يبقى في شكل الظاهرة، ويمكن أن يستنتج منها مذهباً واحداً صالحاً، بينما بالنسبة لمقالة ن. بلاساري فهو يدعي أن حزب العمل الألباني لم يعرف أبداً مثل صراع خطوط واتجاهات هذه. هل سيكون حزب العمل الألباني استثناء لقانون عام لحياة الأحزاب الشيوعية؟ طبعاً لا، على الرغم من أن ن. بلاساري كتب:

"إن آخر المجموعات العدو، كما هو الحال بالنسبة لسابقتها، تم اكتشافها وإبادتها قبل أن تبدأ في التبلور في اتجاهات وفي خطوط متعارضة، تحريفية داخل الحزب".



إنه من السهل ملاحظة أن حزب العمل الألباني لم يفلت من القاعدة. إن هذه التصريحات ترمي فقط، إلى إدخال الواقع بقوة في سترة نظرية خاطئة. في نفس المقال، في العشرين سطر إلى الأعلى، يمكن أن نقرأ أن المجموعات التي تمت تصفيتها: " كانت تعتمز أيضا، بمساعدة الخونة في الجيش، تنظيم انقلاب عسكري، كان يجب أن يكون مدعما بتدخل عسكري خارجي".

أليس هناك اتجاهات ولا خطوط تشكلت؟

إذا كانت التصفية العنيفة للوزراء، أعضاء المكتب السياسي، واللجنة التنفيذية لحزب العمل الألباني لا يشكل برهانا على وجود خطوط مريرة واتجاهات أيضا داخل حزب العمل الألباني، فأبي براهين بليغة يجب تقديمها؟ إنه بالضبط، هذه التجربة التاريخية هي ما قام ماو بتركيبها، فقد صرح أنه: "خارج حزب معين، توجد أحزاب أخرى، وداخل نفس الحزب هناك اتجاهات، وكان الأمر دائما كذلك".

## V - اعرف كي تغير

هناك أمر يجب فهمه، وهو أن صراع الخطوط داخل الحزب هو ظاهرة حتمية، لها مصدرها في التناقضات الطباقية للمجتمع، ثم هناك أمر آخر وهو أنها موقف حيوي والذي يجب أن يكون عند الماركسيين - اللينينيين من أجل تغيير هذه الوضعية.

يخلط أنفير خوجة دائما المسألتين في الانتقادات التي يوجهها إلى ماو: بالقيام بذلك، فهو يستعمل انتقادات شكلية - معرفة هل مارس الحزب الشيوعي الصيني بشكل صحيح صراع الخطوط في هذه المرحلة أو تلك خلال تاريخه الطويل- من أجل رفض النظرية الماركسية - اللينينية نفسها حول الحزب<sup>8</sup>.

يمكن أن نظن أنه في العمق أن هذه الخلافات النظرية بين مفاهيم أنفير خوجة ومفاهيم ماو، ليست لها نتائج عملية هامة ما دمنا نناضل حقيقة ضد الانتهازية. لا أبدا، إن النضال الذي نقوم به ضد الانتهازية داخل الحزب لا يمكن أن يكون مستقلا عن الوعي الذي يكون عندنا حول أصلها الاجتماعي.

إن الانتهازية اليوم، لا يمكن أن تعلن عن نفسها بالنفي الخالص والبسيط للصراع داخل الحزب بعد تجربة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وتحليلات ماو. إنها تعلن عن نفسها منذ الآن، بالاعتراف بالصراع الداخلي، لكن فقط كظاهرة من الدرجة الثانية، بعيدا خلف الوحدة "المونوليتية" للحزب. إن هذا لا يمكن أن يعطي إلا عواقب خطيرة، لأن صراع الخطوط ليس فقط ظاهرة عرضية، إنها الظاهرة التي هي محرك بناء الحزب. إن العواقب لا تتوقف عند إطار الحزب: إدراك صراع الخطوط داخل الحزب كانعكاس للصراع بين البورجوازية والطبقة العاملة، هو الطريق الوحيد الذي يسمح بالمحافظة، وتقوية الدور القائد للحزب في بناء الاشتراكية والشيوعية. لماذا؟

إذا فهمنا تماما عمق ظاهرة الصراع الداخلي في الحزب ومصدره في الظروف المادية للمجتمع الاشتراكي، فهذا يقودنا إلى القيام بصراع سياسي وإيديولوجي وتنظيمي ضد الانتهازية في نفس الوقت. إننا نعالج المشكل في العمق، وليس بإجراءات تنظيمية

<sup>8</sup>. إنه من الممكن جدا أن أخطاء تم ارتكابها في هذا الاتجاه من طرف الحزب الشيوعي الصيني، بل من طرف ماو، ولا نرفض بطبيعة الحال معالجتها، لكن معالجة مثل هذه الأخطاء، يجب أن يكون على ضوء النظرية الماركسية - اللينينية حول الحزب وليس على "ضوء" أطروحة مضادة لهذه النظرية، مثل نظرية "المونولوتيزم"، التي تم تأكيدها عبر كل تاريخ الحركة الشيوعية العالمية.

أو بوليسية، وهذا يعني حشد الجماهير بشكل واسع من أجل نقد الخط الانتهازي، وحركة الجماهير هذه مثل الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ليست فقط محاضرة حول الماركسية - اللينينية، إنه نضال تحويلي للمجتمع نفسه. "القيام بالثورة والرفع من الإنتاج"، نقد التحريفية وبناء الاشتراكية، هذا هو المعنى العميق للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، وعلى العكس من ذلك، فعدم إدراك صراع الخطوط كانعكاس لصراع الطبقات، يؤدي بالحزب إلى "تصفية حساب" الانتهازيين، بإجراءات تنظيمية التي "سنشرحها" للجماهير فيما بعد، بالإضافة أنه يمكن للأغلبية أن تخطئ ويتم تصفية رفاق جيدين عن طريق الخطأ: إن مفهوم أنفير خوجة يعني أن الانتهازيين اللذين يتم اعتبارهم كجسم أجنبي في الحزب، لا يصلحون كمعلمين بمثال سلبي (التعلم من السلبيات والأخطاء (المترجم))، إن نقدهم لا يصلح لشيء في تربية الجماهير وتحويل المجتمع بشكل عميق.

إذا فهمنا جيدا الخاصية المعقدة والطويلة للصراع بين خطين وعلاقته بالمجتمع المنقسم إلى طبقات، فلن نعارض التعبير عن الآراء المتباينة داخل الحزب كما داخل المجتمع. والحال أنه من البديهي، قد يتم التعبير عن آراء "ماركسية - لينينية" وهي آراء انتهازية، لكن هذا ضروري، أولا، لأنه، لنقد الانتهازية يجب معرفتها في شكلها الحي المعاصر، ثم بعد ذلك، لأنه من المستحيل التمييز بطريقة أخرى الرفاق اللذين يخطئون عن البورجوازية، وفي الأخير، لأنه لا يصلح لشيء، أن الطليعة وحدها أو اللجنة المركزية وحدها تميز الانتهازي والمناضل إذا كانت الجماهير نفسها لم تع ذلك فعليا.

"دعه يعبر" لا يعني التنازل عن النضال ضد الانتهازية، بل بالعكس، شرط ضروري لكي يأخذ هذا النضال قوة دافعة، ويكون له قيمة تربوية ومحولة. على العكس، إذا تم منع التعبير عن الآراء المختلفة، وإذا تم بسرعة قمع ما وصفته اللجنة المركزية بالانتهازية، فهذا لا يمنع الآراء من أن تتواجد، والعناصر البورجوازية من أن تتناسل، وعلى الرغم من أنه يتم التكرار، لمن يريد أن يسمع، بأن الحزب موحد وسيظل كذلك، فهذا لا يغير قيد أنملة حقيقة صراع الطبقات وصراع الخطوط.

إذا اعتبرنا أن كل تعبير عن رأي جريمة ضد المونولوتيزم، فإننا سنمنع العناصر البورجوازية من الظهور، لكن ليس أن توجد وتتناسل، لأنه في ظل الاشتراكية توجد قاعدة موضوعية لوجودها وتناسلها، وسنحصل فقط على هذا: ندفعها إلى الاختباء، أن تنتظر ساعتها، تبرهن على خنوعها للظروف مثل خروتشوف أمام ستالين.

سنمنع أيضا - وهذا هو الأساسي بدون شك - أن تحارب الانتهازية من طرف الجماهير، وأن هذه المحاربة ستعمل على تربيتها.

**تمت تصفية عشرات الأطر وسط حزب العمال الألباني، هل رأينا في الحقيقة ولو مرة واحدة، أي انتقادات سياسية وجهت لهم؟**

إن التجربة الماضية قد علمتنا ألا نأخذ بعين الاعتبار سوى نضالات المجتمع الاشتراكي والحزب، بدون هذا إذن، لا نبرهن عن أي تجذر فعلي في تصفية البورجوازية، فعلى الأكثر نسقط في تجذر لفظي، ذلك الذي لا يمنع أبدا العناصر البورجوازية من أن تكون موجودة.

كخلاصة، يجب تسطير أن النقد الخاطيء، الذي يوجهه أنفير خوجة لماو لا يوجه إليه وحده. بالفعل، إذا كان ماو قد نظم ونظر بشكل كامل المفهوم الماركسي للحزب الشيوعي على ضوء تجربة الحزب الشيوعي الصيني والحركة الشيوعية العالمية، فإنه لم يعمل سوى على تطوير اللينينية في هذا المجال.

لقد مارس لينين جيدا قبل ماو صراع الخطوط داخل الحزب البلشفي، فإليكم ماذا كتب لينين في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) الروسي في سنة 1921 خلال الصراع ضد اتجاه "المعارضة العمالية":

**"إن مؤتمر الحزب البلشفي يرفض بشكل قاطع هذه الأفكار التي تترجم انحرافا نقابويا و أناركيا، ويعتبر ضروريا:**

**1 - الالتزام بخوض نضال منهجي وبلا هوادة ضدها.**

2 - الاعتراف بأن الدعاية لهذه الأفكار لا يتوافق مع الانتماء للحزب البلشفي.

إن المؤتمر، وهو يحمل اللجنة المركزية للحزب مسؤولية التطبيق، بالشكل الأكثر صرامة لهذه القرارات، فإنه يشير في نفس الوقت إلى أنه يمكننا، ويجب علينا، إعطاء مكان في المنشورات والكراريس الخاصة إلخ... لتبادل وجهات النظر الأكثر اتساعاً بين أعضاء الحزب حول القضايا المشار إليها" قرارات المؤتمر العاشر للحزب البلشفي الروسي، المجلد 32، ص 259.

لقد تبني حزب لينين هذا الموقف بعد أن نظم نقاشاً واسعاً حول خط "المعارضة العمالية" ونقاشاً عمومياً: "لقد فتحنا النقاش الأكثر توسعاً والأكثر حرية، لقد نشر برنامج "المعارضة العمالية" في الجهاز المركزي للحزب ب 25000 نسخة".

لقد منع المؤتمر دعاية المعارضة العمالية، وجعل إجبارياً الدعاية للخط الذي تبناه المؤتمر، لكن لم يمنع متابعة النقاش النظري وانتخاب أعضاء من "المعارضة العمالية" في اللجنة المركزية. لقد رسم المؤتمر و لينين حداً بين الحركة التكتلية لجزء من البلاشفة، والنقاش المفتوح والحرب بين البلاشفة من أجل بلورة خط الحزب:

"ونتمنى في اللجنة المركزية، حيث نقبل بتواجد أنصار هذا الانحراف، أن هؤلاء الأخيرين سيكون لهم اتجاه قرار المؤتمر، الموقف الذي يوافق كل مناضل واع ومنضبط، نتمنى أنه بمساعدتهم ستحدد اللجنة المركزية هذا الحد بدون خلق وضعية خاصة، سوف نوضح ما يقع وسط الحزب: الدعاية للأفكار داخل حزب يقود صراعاً سياسياً، أو تبادل الآراء في منشورات وكراسات خاصة" (مجلد 32، ص 267).

أشار لينين في تقريره عن نشاط المؤتمر العاشر:

"يجب أن تساعدنا هذه المناقشة على فهم أن حزبنا، الذي يضم على الأقل نصف مليون عضوا، وحتى أنه يفوق ذلك، قد أصبح أولا، حزبا جماهيريا، ثانيا، حزبا حكوميا، وبأنه حزب جماهيري، فقد كان يعكس جزئيا ما كان يحدث خارج صفوفه، إنه في غاية الأهمية فهم ذلك" (مجلد 32، ص 184).

بين أطروحات أنفير خوجة وأطروحات لينين و ماو تسي تونغ ألا يوجد عطب؟

## الفصل الرابع

### الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية هو بمثابة ثورة

يصرح أنفير خوجة بهذا الحكم السخيف حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى:

"إن مجرى الأحداث يبين على أن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لم تكن ثورة، لم تكن لا كبيرة ولا ثقافية ولم تكن أبدا بروليتارية، فلم تكن سوى انقلاب قصر على مستوى عموم الصين، من أجل تصفية حفنة من الرجعيين، اللذين استولوا على السلطة".

انقلاب حرك عشرات وعشرات الملايين! من الناس، انقلاب قصر، الذي أثار اهتمام العالم كله وحماس كل البروليتاريين الواعين وكل الشيوعيين الحقيقيين، بما فيهم، في تلك المرحلة، حزب العمل الألباني، إن هذا على الأقل سيستحق نقدا ذاتيا<sup>9</sup>.

<sup>9</sup> . لن نورد التصريحات التي لا تعد ولا تحصى لحزب العمل الألباني من كل قادته السياسيين، التي كانت تغمر ماو بالمديح، والتي تشير إلى القيمة الكونية والنطاق التاريخي للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. على سبيل المثال، يمكن للقارئ أن يرجع، من بين نصوص أخرى لخطاب م. شيهو 11-10-67 في شنغهاي وافتتاحية "زيري إي بوبليت": "الطبعة الألبانية لاقتباسات ماو تسي تونغ، هدية كبيرة وثمانية للشعب الصيني الأخ" اللتان صدر كلاهما في "بيكين- أنفورماسيون"، عدد 44، سنة 1967. في الآونة الأخيرة، يمكن أن نورد الكتيب

لنترك النقد الذاتي: إن هذا يستحق على الأقل تحليلا معمقا من طرف أنفير خوجة، لكن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ينظر إليها من زاوية عدسة صغيرة. لا يوجد أي تحليل لصراع الطبقات ولا مراجع للتحويلات الكبرى، التي أجرتها الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى على جميع مستويات المجتمع، لا تحليل للخط الذي اتبعه ماو في الثورة الثقافية، ف أنفير خوجة يتمسك بالمظاهر الشكلية للثورة الثقافية، ويريد التنقيص منها على قاعدة النقد الاستعراضي أو التأويلات المتحيزة لبعض المظاهر الخاصة لهذه الثورة.

يمكن أن نلخص بهذا الشكل رأي أنفير خوجة حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى:

- 1 - كون الثورة الثقافية قد أصبحت ضرورية من أجل قيادة الصراع ضد التحريفين هو أصلا علامة على وجود أخطاء خطيرة، وانحرافات عن الماركسية - اللينينية في الماضي: ليبرالية تجاه البورجوازية داخل الحزب وخارجه.
- 2 - ليست الثورة الثقافية سوى صراع اتجاهات حركة أثارها نداء أطلقه ماو تسي تونغ "الذي أغرق الصين في الفوضى".
- 3 - "لكن المهم يبقى في كون هذه الثورة "الثقافية البروليتارية الكبرى" لم يقدها لا الحزب ولا البروليتاريا".
- 4 - "بطبيعة الحال، هذه الثورة الثقافية كانت خداعا، فقد صفت في نفس الوقت الحزب الشيوعي الصيني والتنظيمات الجماهيرية... " ص 410 - 413.

### 1 - من أين جاءت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

إن رأي أنفير خوجة وكل مكونات تيار نقد ماو، الذين يحافظون عليه بدعاية متواصلة هو هذا:

---

المنشور كملحق ل "ألبانيا اليوم" عدد 6 - 1973 بمناسبة تخليد للذكرى 80 لميلاد ماو تسي تونغ في ألبانيا، دون أن ننسى الخطابات والرسائل بمناسبة وفاة ماو (1976).

إن إطلاق الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى كان من الضروري بسبب ليبرالية الحزب الشيوعي الصيني، من حقيقة أن الحزب الشيوعي الصيني لم يكن عليه أن يقود صراعا من أجل تطهيره وتقويته، وبالتالي فإن حزبا سيقود مثل هذا التطهير المنهجي، سيكون بإمكانه، في ظروف الاشتراكية أن يتجاوز مثل هذه الثورة. إذن فإنه من الضروري الوقوف عند الظروف التي جعلت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ضرورية.

إن رأي ماو حول ضرورة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى أو حول ثورة من هذا النوع، من حيث المبدأ، من أجل قيادة الصراع ضد البورجوازية وممثليها داخل الحزب، تستند على تحليل لتجربة الثورة الصينية وتجربة دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفياتي.

\*\*\*

إن رأي أنفير خوجة هو قبل كل شيء، تم تكذيبه من خلال مسار الثورة الصينية. هل بدون الحديث عن صراع الخطوط وحملات التصحيح، التي تم القيام بها قبل انتصار 1949، يمكننا أن نتخيل للحظة أن التحويلات الاشتراكية الكبرى التي وصفناها (الفصل II) قد تحققت تلقائيا، إذا جاز التعبير "بشكل طبيعي"، الجواب بالنفي بطبيعة الحال. لقد تحققت هذه التحولات عبر صراع طبقات نشيط جدا، والذي كان الحزب انعكاسا له.

إن حركات التصحيح والحملات ضد اليمين البورجوازي والصراعات في الميدان الثقافي لم تتوقف أبدا منذ انتصار 1949 إلى غاية الثورة الثقافية، وأكثرها أهمية كانت حركات "سانغان و ووفان" (1951 - 1952)، الصراع ضد المجموعة المعادية للحزب كاوو - كانغ - جاوو شوش، الصراع ضد مجموعة الثورة المضادة ل هو فينغ (1955) و صراعات الخطوط المتعددة حول الحركة من أجل التعاون الزراعي، سنة 1957، الصراع ضد اليمين البورجوازي مقدمة ل "القفزة الكبرى إلى الأمام"،



الصراع ضد انحراف اليسار خلال القفزة الكبرى (الانحراف الذي يعزیه أنفیر خوجة بسخاء إلى ماو، ص 458)، الصراع ضد بينغ تهوای 1959 فيما يخص تقدير نتائج القفزة الكبرى.

ابتداء من 1960، بدأ الصراع ضد ليو شا وشي، الذي دام إلى غاية الثورة الثقافية ... هذه الصراعات كانت قاسية جدا، وأدت إلى إجراءات تطهير وحملات تصحيح، لقد كانت هذه الحركات "حركة التربية الاشتراكية" مباشرة قبل الثورة الثقافية، وقد حلل ماو هذه الحركات هكذا:

"في الماضي، قدنا صراعا في البوادي والمعامل والأوساط الثقافية، واضطلعنا بحركة التربية الاشتراكية دون أن نتمكن رغم ذلك من أن نحل المشكل، لأننا لم نجد شكلا ومنهجيا يسمح بحشد جماهير واسعة بشكل مفتوح في جميع الميادين، انطلاقا من القاعدة لكي نشجب جانبنا المظلم".

إن تحليل هذه الصراعات قاد ماو إلى أن يدرك أن الحركات "العادية" لتصلب الحزب والتصحيح لن تسمح ب "حل المشكل"، فهذه الحركات سمحت بالكاد ب "ملازمة" مشكل الانتهازين، وليس محاربة الانتهازية بعمق. أكثر من ذلك، عندما كانت الانتهازية تسيطر على قطاع من الحزب أو منطقة، فإن حركة التطهير "العادية" سمحت لأطر اليمين أنفسهم، سواء كانوا مسؤولين عن التصحيح في قطاعاتهم بتحويلها بالكامل، وعلى مستوى بلد كالصين، يمكن أن نتخيل بكل سهولة الخسائر، التي كان يمكن أن تسببها ممارسات مثل هذه.

بعد تحويل ملكية وسائل الإنتاج، أصبح صراع الطبقات حادا، وبالأساس داخل الحزب، وعشية الثورة الثقافية حصل التحريفيون على مواقع صلبة داخل الحزب والدولة. كان يجب "إيجاد شكل" من الصراع الذي سيسمح ب "حل المشكل"، هذا الشكل الجديد أصبح ضروريا، ليس لأن الحركات "العادية" للتطهير لم يتم القيام بها، لكن لأنها بالضبط لم تبرهن على أنها كافية.

إذا كان مجرى الأحداث في الصين قد وصل ب ماو إلى تغيير شكل الصراع ضد البورجوازية والانتهازية، فليس لأن ذلك بسبب خصوصيات الثورة الصينية: إن التجربة الماضية للحركة الشيوعية العالمية، وخاصة للاتحاد السوفياتي كانت تمشي في نفس الاتجاه.

لا يشكك أنفير خوجة في "ليبرالية" ستالين ومع ذلك فتجربة إعادة الرأسمالية إلى الاتحاد السوفياتي هي هنا، من أجل تبيان أن الصراع ضد البورجوازية داخل الحزب حسب الطرق "العادية" لا يمكن أن يحل المشكل. لقد ضرب ستالين وقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي عددا من العناصر البورجوازية، ومع كل ذلك فبضربهم انطلاقا من القمة، انطلاقا من قرارات اللجنة المركزية أو المكتب السياسي، فالنتيجة الوحيدة التي كانت، أن عددا من التحريفيين وعناصر منحلة (حيث يعد خروتشوف النموذج الأصلي) انبطحت وتظاهرت بالموت منتظرة ساعتها ...

بناء على هذا التحليل للثورة في الصين وفي الاتحاد السوفياتي، بنى ماو نظريته والخط السياسي للثورة الثقافية. إن الثورة الثقافية كانت إذن مصممة كنتيجة لحصيلة التجربة الإيجابية والسلبية للحركة الشيوعية العالمية، وبالضبط لتجربة دكتاتورية البروليتاريا.

## II - الطبقات وصراع الطبقات في ظل الاشتراكية

يتجه نقد أنفير خوجة ل ماو فيما يتعلق بالثورة الصينية حول الأشكال المتخذة من طرف الثورة: وجود وصراع التكتلات "نهج فوضوي"، مواجهات إلخ ... إنه يؤاخذ على الثورة الثقافية كونها كانت فقط ثورة بكل بساطة.

إن مفاهيم أنفير خوجة هاته، مرتبطة بتحليله للاشتراكية والشيوعية، للطبقات وصراع الطبقات في المجتمع الاشتراكي وفي الحزب الشيوعي.

أشار ماو في سنة 1957:

"إذا كنا نخاف من الاضطرابات ونحسم في الحالات بشكل تبسيطي، فإن السبب الأساسي هو أنه في العمق، في خلفية الفكرة لا نتقبل بأن المجتمع الاشتراكي يشكل وحدة تناقضات، وأنه توجد تناقضات، طبقات وصراع الطبقات".  
يدين أنفير خوجة الثورة الثقافية ككل، لسبب يتعلق بـ "الاضطرابات"، فبالنسبة لـ أنفير خوجة فإن الاشتراكية هي مجتمع تمت فيه تصفية البورجوازية، مجتمع تحرر من العداوات الطبقيّة، مجتمع لا توجد فيه إلا الطبقة العاملة والفلاحين المتعاونين وشريحة المثقفين الاشتراكيين، يتميز هذا المجتمع بـ "وحدة الشعب" كقوة اجتماعية دافعة، ومع ذلك، فحزب العمل الألباني يعترف أن صراع الطبقات يستمر في الوجود، لكن أي طبقات تعارض طبقات أخرى؟ إنه لغز! (انظر "ألبانيا اليوم"، 2 - 1976).

هذه الأطروحات خاطئة، ولا تتطابق لا مع الواقع ولا مع أطروحات ماركس وانجلز ولينين حول الاشتراكية.  
على العكس من ذلك، يسطر الماركسيون - اللينيونيون على أن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية هو ثورة، يعني أن مواصلة قلب طبقة (البورجوازية) من طرف طبقة (البروليتاريا) وأن أخذ السلطة من طرف البروليتاريا ليس إلا بداية الثورة.  
"هذه الاشتراكية هي إعلان دائم للثورة، دكتاتورية طبقة البروليتاريا، كنقطة انتقالية ضرورية للوصول إلى إزالة اختلافات الطبقات بصفة عامة، إلى إزالة كل علاقات الإنتاج التي تتكئ عليها، إلى إزالة كل العلاقات الاجتماعية، التي تتطابق مع علاقات الإنتاج هذه، إلى قلب كل الأفكار التي تنبثق عن هذه العلاقات الاجتماعية" كارل ماركس.

إن إنجاز هذه المهام من طرف دكتاتورية البروليتاريا هو محك صراع طبقات شرس بين البروليتاريا والبورجوازية.  
إليكم كيف يتحدث لينين عن المواجهات الطبقيّة:

"إن دكتاتورية البروليتاريا هي الحرب الأكثر بطولية والأكثر عنادا للطبقة الجديدة ضد عدو أكثر قوة، ضد البورجوازية، حيث أن مقاومتها تزداد بعشرة أضعاف بسبب أنه تمت الإطاحة بها إلخ... "لينين، "المرض الطفولي للشيوعية".

يتحدث ماركس عن "إعلان دائم للثورة"، ويتحدث لينين عن "حرب".  
 "إن إزالة الطبقات هو نتيجة صراع طبقات طويل، صعب وعنيد، الذي، بعد قلب سلطة الرأسمال، بعد القضاء على الدولة البورجوازية، بعد إقامة دكتاتورية البروليتاريا لا تختفي ... بل لا تعمل سوى على تغيير شكلها لكي تصبح أكثر شراسة بطرق عديدة" لينين.

إن صراع الطبقات هو تغيير للشكل، هذه هي أطروحة لينين، لكنه يصبح "أكثر شراسة في نواحي كثيرة"، فها هنا توجد العقبات، طبعا لا يمكن للينين أن يصف حقا هذه التغييرات في شكل صراع الطبقات، لسبب واحد، أنه لم يكن له ليخترع المجرى المستقبلي للثورة، لكن من الواضح أنه يتحدث عن هذه التغييرات في الشكل بالنسبة لكل المرحلة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا. إن دكتاتورية البروليتاريا لا يمكن تصورها إلا في علاقة مع وجود طبقة يتم اضطهادها ووجود الطبقات بصفة عامة.

مع ذلك، في مرحلة أخرى، كانت قد تقدمت أطروحة خاطئة، مفادها، أنه بعد تحول ملكية وسائل الإنتاج، تختفي العداوات من المجتمع الاشتراكي، هذه الأطروحة يمكن تلخيصها في هذه الجملة: "**الطبقات المستغلة (كسر الغين) تمت تصفيتها**". عرفت هذه الأطروحة النور في الاتحاد السوفياتي بعد نجاح تجميع الزراعة. بالتأكيد، فإن نهاية الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج هو انتصار مهم وتحول مهم في علاقات الإنتاج، ولكنها لا تشكل انتصارا "نهائيا" أو حتى "أساسيا" لصراع الطبقات في المجتمع: كونها محرومة من وسائل الإنتاج، فإن البورجوازية لم يتم القضاء عليها نهائيا، ولا هي ممنوعة من أن تعود للتشكل، وأحسن برهان هو تجربة الاتحاد السوفياتي، حيث ولدت بورجوازية وتطورت على قاعدة الملكية الاشتراكية لوسائل الإنتاج بإفراغها شيئا فشيئا من محتواها، فالشيوعيون السوفيات، وعلى رأسهم ستالين، قاموا بتحليل خاطئ للمجتمع

الاشتراكي بعد تحويل ملكية وسائل الإنتاج، فقد ظنوا أن هذا التحويل كان يمثل واقعا أساسيا جدا لدرجة أنهم طعنوا في أطروحة لينين حول استمرار صراع الطبقات تحت أشكال أخرى<sup>10</sup>. إن هذه الأطروحة الخاطئة المنتقدة منذ وقت طويل من طرف ماو والحزب الشيوعي الصيني، التي يحاول أنفير خوجة اليوم استعادتها هي قفزة عظيمة إلى الوراء. إن هذا الانحراف هو أساس الموقف الذي طوره أنفير خوجة عن الثورة الثقافية ... في الحقيقة، فإن تحول ملكية وسائل الإنتاج لا يعمل على اختفاء البورجوازية ولا باقي الطبقات، فهي تغير ظروف وجودها، العلاقات فيما بينها والشكل الذي يأخذه صراع الطبقات. إن هذا هو التحليل الذي يشكل المساهمة الأساسية لماو وللثورة الثقافية ... لنظرية الماركسية - اللينينية لدكتاتورية البروليتاريا.

\*\*\*

إن وجود البورجوازية في ظل الاشتراكية يمكن أن يفسر كالتالي:  
- حرمت البورجوازية القديمة من وسائل إنتاجها، وهي مضطرة لتعمل من أجل أن تأكل، فهذه حقيقة مهمة والتي تضعف هذه الطبقة، لكن لم يتم تصفيتها، فهي تحتفظ بمواقف صلبة: في جهاز الدولة، في تدير الاقتصاد، في ميدان التعليم وداخل الأنتلجنسيا أيضا، فهذه المواقف لا يمكن القضاء عليها قبل وقت طويل: لا يمكن للطبقة العاملة أن تستغني على الفور عن "كفاءات" هؤلاء البورجوازيين، لأطفال هؤلاء البورجوازيين، فخلال مدة طويلة تميزوا عن أطفال البروليتاريين في المدرسة.

<sup>10</sup> . هذه الأطروحات تم تطويرها من طرف ستالين في تقريره للمؤتمر 18 للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، وفي خطابه حول دستور 1936، مسائل اللينينية، مجلد 2، ص 748 - 84، 838 - 39، 858 - 62، 873 - 85. يمكن قياس تطور فكر ستالين بمقارنة هذه النصوص بالنص السابق: "من انحراف اليمين في الحزب الشيوعي (البلشفي) الروسي" قضايا اللينينية، مجلد 1، ص من 311 إلى ص 409.

إن هؤلاء البورجوازيين ما زالوا مرتبطين ببعضهم، ويستغلون الأخطاء والنواقص التي لا يمكن تفاديها لسلطة دكتاتورية البروليتاريا لحماية أنفسهم والتدخل في الجهاز الإداري وحتى في الحزب الشيوعي، فكل هذا لا يمكن محوه بسرعة.

- إن الاشتراكية هي مجتمع انتقالي، وهو يبقى حتى بعد التغييرات في ميدان ملكية وسائل الإنتاج، قاعدة اقتصادية تسمح بتشكيل "بورجوازية جديدة". أولاً، ليست الملكية الجماعية على مستوى الإنتاج الصغير (فلاحين، حرفيين) بعد ملكية اشتراكية لوسائل الإنتاج: تكون بعض الملكيات الجماعية (كومونات شعبية أو تعاونيات) غنية، وأخرى فقيرة، وحسب نمط التوزيع، فبعض العمال يمكنهم أن يتلقوا أكثر من الآخرين، وفي الأخير تبقى قطع صغيرة خاصة تسمح بنوع من الاغتناء. إن المبدأ الاشتراكي "كل حسب عمله" على مستوى التوزيع يجعل بعض التفاوتات الفعلية بين المنتجين تظل باقية. يستمر الإنتاج نفسه في العمل حسب تقسيم العمل الموروث عن المجتمع الرأسمالي، فلم يبلغ المجتمع في مجموعته "التناقضات الثلاثة الكبرى": المدينة - البادية، عامل - فلاح، عمل يدوي - عمل فكري، كل هذا لا يمكن أن يمحي فوراً.

- على مستوى البنية الفوقية، فالبورجوازية القديمة تحتفظ فقط ببعض المواقع، لكن تخلق أيضاً بورجوازية جديدة، فما زال جهاز الدولة معزولاً عن الجماهير إلى حد ما، وحيث ما زال بعيداً عن الهدف الذي حدده لينين: "هدفنا هو العمل على ملأ وظائف الدولة مجاناً لجميع العمال بمجرد ما ينهون ثمان ساعات عملهم بـ "مهام" داخل الإنتاج: إنه صعب بشكل خاص تحقيق ذلك، لكن هنا فقط توجد مجانية التوظيف النهائي للاشتراكية".

من بين هؤلاء الموظفين، اللذين هم في البداية شرلابد منه، تتوفر البورجوازية القديمة على مجال للفساد:

"أولئك اللذين يعتبرون الانتصار على الرأسماليين من وجهة نظر الملكيات الصغيرة - "كسبوا بسرعة والآن جاء دورنا" - يولد جيل جديد من البورجوازية".

يوجد هؤلاء الموظفين، في ظل الاشتراكية، في وضع موضوعي للبورجوازية الصغيرة المأجورة في ظل الرأسمالية، ومن البديهي أن المظهر يمس الحزب الشيوعي نفسه.

في ظل الاشتراكية، تعمل الدولة على تطبيق القانون الذي يحمي المجتمع الاشتراكي ويثبت فيها معايير الاشتغال. كما لاحظ ماركس ذلك: "لا يمكن للقانون أبدا أن يكون فوق الحالة الاقتصادية للمجتمع ودرجة التحضر التي تناسبه" لذلك، في مجتمع انتقالي كالمجتمع الاشتراكي، فالقانون يحمي، ليس فقط مكتسبات الاشتراكية، مظاهرها الأكثر تقدما والأكثر شيوعية، لكن أيضا، العيوب الموروثة عن الرأسمالية، لهذا السبب يستمر "الحق البورجوازي" في الوجود في ظل الاشتراكية. من هنا يظهر، أن البورجوازية القديمة التي لم تمح بعد، تتوفر في المجتمع الاشتراكي على مجال ملائم لرشوة بعض العناصر، حيث هذه العناصر هم "البورجوازيون الجدد"، اللذين يظهرون، ليس بسبب تغيير في مبادئ الاشتراكية، لكن بطبيعة الاشتراكية نفسها، مجتمع انتقالي.

باستعادة أنفير خوجة وحزب العمل الألباني لتحليل الطبقات الخاطئ للحزب الشيوعي (ب) في سنة 1936 فهم ينفون وجود بورجوازية في ظل الاشتراكية لأنهم وجدوا في تغيير البورجوازية لشكلها تصفية لهذه البورجوازية نفسها<sup>11</sup>.

<sup>11</sup>. يتحدث أنصار التحليل الطبقي ل أنفير خوجة عن اختفاء البورجوازية، ولكن ليس باقي الطبقات. يمكن دفعهم إلى ملاحظة أنه باتباع منطقهم، أنه حتى البروليتاريا لا وجود لها ما دامت قوة العمل لم تعد تشتري وتباع بحرية في السوق، ولا بورجوازية صغيرة هي أيضا ما دام الإنتاج الصغير قد تمت تصفيته: لن تكون إذن أي طبقات في ظل الاشتراكية.

### III - أين هي البورجوازية؟

بصفة عامة، فإن أنصار تحليل أنفير خوجة يمكنهم استخلاص النتائج المنطقية لحججه، فهم يبحثون عن عدو للاشتراكية، ولكنهم لا يجدون طبقة اجتماعية، لذلك يضطرون لاستخدام الحيل: لا ينفون وجود عناصر منحلة، لكن يعتبرونها كشكل من أشكال وجود البورجوازية في ظل الاشتراكية، فهم يقللون من أهميتها وينفون أساسها الموضوعي.

هذه "العناصر" هي دائما "متسربة" وفي كثير من الأحيان "عملاء الخارج"، وعلى كل حال "غريبة عن الاشتراكية". أو حيلة أخرى إذ يصرحون أن العدو الرئيسي لدكتاتورية البروليتاريا "هو مزدوج: الليبرالية والبيروقراطية..." بمعنى عدو خارج الطبقات، طريقة عمل وقيادة "عدوة"، باختصار، يبحثون عن البورجوازية لكن ليس في المجتمع نفسه، لهذا السبب لا يفهم أنفير خوجة مكانة الحزب الشيوعي في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، ويتهم الثورة الثقافية بكونها أن الحزب لم يقدها، بل، وقامت بتصفية الحزب:

"في نظرنا، كون هذه الثورة الثقافية لم تكن بقيادة الحزب ولكن كانت تشكل انفلاتا فوضويا أثاره النداء الذي أطلقه ماو تسي تونغ ونزع عن هذه الحركة صفتها الثورية".

إن إطلاق الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لم يكن مبادرة شخصية لماو، ولكن قرارا للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، مذكرة اللجنة المركزية المؤرخة ب 16 ماي 1966، محددة ب: "قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى" في 8 غشت 1966. هذين القرارين للحزب الشيوعي الصيني يشكلان وثائق وبرنامج الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، إنهما نصين أساسيين، فالحجة التي على أساسها أطلق ماو الشخص، الثورة الثقافية وقادها، تصلح لتمرير فكرة، التي وفقا لها لم تكن الثورة الثقافية بقيادة الحزب وإنما تطورت ضد الحزب. إن هذه النظرة إلى الثورة



الثقافية، التي روجها "الاختصاصيون" البورجوازيون حول الصين، وإيديولوجيو "الأناركو- ماوية" في أوروبا<sup>12</sup> لا تتوافق مع الواقع، ففي الحقيقة كان الحزب الشيوعي الصيني في نفس الوقت قائد الثورة الثقافية، وجزئياً هدف هذه الثورة، على الرغم من أن التوجيهات الأساسية للثورة أعطيت من طرف المجالس القيادية للحزب الشيوعي الصيني على امتداد تقدم الثورة. صحيح أن الحزب الشيوعي الصيني قد "تزعزع" بالثورة الثقافية بقوة. لماذا؟  
أشار ماو:

**"نقوم بالثورة الاشتراكية ولا نعرف حتى أين هي البورجوازية، بينما هي توجد داخل الحزب الشيوعي، إنهم المسؤولون المنخرطون في الطريق الرأسمالي".**

إن البورجوازية التي تم تجريدها من وسائل الإنتاج لم تختف، لكن تم إضعافها بشكل كبير، فهي لم تعد تتوفر على قاعدة اقتصادية أكثر صلابة من تلك التي أعطتها لها ملكية وسائل الإنتاج. هذه التغيرات الهامة تجعل من المستحيل تقريباً الهجوم على دكتاتورية البروليتاريا من الخارج ملوحة بالعلم الأبيض.

إن الهجوم يتطور إذن من الداخل، وتحت راية الاشتراكية. إن النضال يتركز حول الخط الذي يجب اتباعه في مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية: السير نحو الشيوعية أو التراجع نحو الرأسمالية. من الطبيعي أن الخط البورجوازي يتجه نحو الاحتفاظ ثم تطوير كل ما في المجتمع الاشتراكي مما لا زال يحمل بقايا من الرأسمالية وكذلك توسيع الحق البورجوازي الذي يؤسس لهذه البقايا.

<sup>12</sup> . في فرنسا، مجموعات "اتحاد الشبيبات الشيوعية الماركسية - اللينينية"، "اليسار البروليتاري"، "عاشت الثورة" الخ ...

إنه لنموذجي تماما من وجهة النظر هذه، هو أنه اليوم في الصين، فإن نقد "عصابة الأربعة" من طرف هوا - دينغ، هذا النقد تم تحت راية الاشتراكية، ويقدم كدفاع عن الاشتراكية: لكن الأمر يتعلق بالدفاع عن الاشتراكية ليس من أجل تقديمها ولكن من أجل عيوبها، فالنقد يبين باستمرار فوائد الاشتراكية بالمقارنة مع الرأسمالية من أجل حماية هذه العيوب بالمقارنة مع الشيوعية. إن شعار "الاستقرار" يستخدم لمعارضة سير الثورة نحو الأمام، وبطبيعة الحال، لتطوير العيوب حتى إقامة الرأسمالية.

إن ساحة العمل المفضلة للبورجوازية القديمة والبورجوازية الجديدة هي الحزب الشيوعي ومجموع جهاز الدولة، خاصة الحزب، لأن حزب المعارضة أصبح حزبا حكوميا، إنه القوة القائدة للمجتمع، والمكان الذي يتطور فيه الخط، لذلك فمن العادي جدا أن يعكس في داخله المواجهات بين الخطوط، والطبقات التي تخترق كل المجتمع. إن البورجوازية داخل الحزب هي نواة كل بورجوازية، وهذا ما يسميه ماو "جانبنا الأسود". لهذا السبب فالثورة الثقافية قادها الحزب، وفي نفس الوقت كان لها كهدف تصفية البورجوازية داخل الحزب والدولة.

إن الثورة الثقافية كشكل من أشكال النضال ضد البورجوازية تم تكييفها مع الأشكال الجديدة لوجود البورجوازية، ولهذا السبب ليست مجرد حركة بسيطة لتطهير الحزب.

بالفعل، فالحزب الشيوعي هو حزب حكومي يقود المجتمع، بحيث أن رهان الصراع ليس فقط الخط الإيديولوجي والسياسي، ومعرفة ما إذا كان الحزب سيبقى ثوريا أم لا، بل إن الرهان هو طبيعة المجتمع نفسه: المسؤولون المنخرطون في الطريق الرأسمالي لهم كذلك ممارسة خاطئة، بورجوازية بعض القطاعات وبعض الوحدات الاقتصادية الموضوعة تحت قيادة هؤلاء المسؤولين لم تعد بين أيدي دكتاتورية البروليتاريا. لم يعد الخط البروليتاري يطبق بل الخط البورجوازي.

في بداية الثورة الثقافية أعلن ماو أنه في عدد كبير من القطاعات، كانت البروليتاريا قد فقدت السلطة، لم تفقدها كحق، لكن في الواقع (التسطير من طرف المترجم). إن هذه الحقيقة الجديدة، التي، تفسر في ظل الاشتراكية أن الثورة الثقافية تكون بالأساس صراعا سياسيا من أجل السلطة، وليست صراعا إيديولوجيا بسيطا، الشيء الذي يفسر كون الثورة الثقافية حركة تحويلية عظيمة للعلاقات الاجتماعية ودفعة لتطور القوى المنتجة الاشتراكية.

#### IV - التحولات المنجزة خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

يعتبر أنفير خوجة أن البروليتاريا لم تكن هي قائدة الثورة الثقافية. كيف يمكن أن نحكم بنعم أو لا أن الطبقة العاملة كانت القوة القائدة للثورة؟

يمكن الاعتماد على تصريحات حزب العمل الألباني في الماضي، حيث يعلن ذلك بصوت عال و واضح، لكن هذا ليس كافيا، لأنه اليوم يؤكد العكس. ليس هناك إلا معيار واحد: كيف كان محتوى التحولات المنجزة بهذه الثورة؟ بينما أنفير خوجة لا يفحص حتى هذا المحتوى. لا يوجد مكان يشار إليه، وعلى العكس من ذلك يستعمل وقائع خاصة مثل دور الشباب في إطلاق الثورة الثقافية من أجل أن ينفي الدور القيادي للطبقة العاملة.

"هذه الوضعية الخطيرة الآتية من المفاهيم القديمة لماو تسي تونغ، الذي كان يستهين بالدور القيادي للبروليتاريا، وكان يرفع من شأن دور الشباب في الثورة".

كتب ماو:

"أي دور لعبه الشباب الصيني منذ فترة حركة 4 ماي؟ لقد بدأت تلعب نوعا ما دور الطليعة، هذا كله، باستثناء أناس رجعيين جدا، يقبلونها في بلادنا. ماذا يعني يلعب دور الطليعة؟ هذا يعني تحمل دور القائد...".

لنمر على "يستهيئ ب" و "يرفع من شأن"، و المعنى الذي يمكن أن يكون لهذه المصطلحات الغامضة ... "يساعد" أنفير خوجة قليلا ماو في التعبير عن الأفكار التي يود أن يعبر عنها: بعد كلمات الحذف، كتب هناك في الترجمة الفرنسية لأعمال ماو، مجلد 2، ص 263 "إنه السير في الصف الأول للثورة". فارق بسيط، بينما بالنسبة للتأكيد: "هذا يعني تحمل دور القائد". هناك اختلافات في الترجمة مفاجئة حقا ... نجد في الطبعة الفرنسية: "يعني احتل المقدمة". فارق بسيط.

في العمق، يرفع أنفير خوجة إلى القمة دور الشباب في الثورة الثقافية، لكن الدور الذي لعبه الشباب المثقف في البداية، دور "الطليلة إل حد ما" يتطابق تماما مع المكان الذي تحتله هذه الشريحة في المجتمع. إن لينين هو من يفسر هذا: إن الشباب المثقف "لوحة حساسة" فهي لا تشكل طبقة، لكن مختلف مجموعات تمثل التناقضات الطبقيّة للمجتمع بكامله. بهذا المعنى، فمن العادي أن تكون هي المتفاعلة الأول مع الثورة الثقافية. وعلى عكس ما يقوله أنفير خوجة فماو كان ضد حركة المثقفين عندما بدأت تنحرف إلى "فصائلية" حلقيّة وعقيمة. إنه تحت زخم قيادة الحزب الشيوعي الصيني أطلق شعار "على الطبقة العاملة أن تمارس قيادتها في كل شيء"، وأن على مجموعات العمال الثوريين أن يضعوا النظام في الجامعات.

إن محتوى التحويلات التي تحققت بواسطة الثورة الثقافية، هو الذي يبين خاصيتها الثورية البروليتارية. يمكن أن نذكر هنا كل ما أسسته الثورة الثقافية، وكل الإجراءات المتخذة في كل المجالات يمكن تجميعها في خانتين:

- 1 - الإجراءات المستهدفة للتقليص من الفوارق و "الاختلافات الكبيرة الثلاثة": يدوي - ثقافي، مدينة - بادية، عامل - فلاح. لنذكر هنا مساهمة الأطر في العمل الإنتاجي، والعمال في التسيير، إرسال الطلبة إلى البادية، أولوية المحفزات الإيديولوجية على المحفزات المادية، إلغاء القوانين الاستبدادية، إلخ ...

2 – الإجراءات التي استهدفت تحويل البنية الفوقية: إنشاء لجن ثورية كأجهزة جديدة للسلطة "على اللجنة الثورية ممارسة قيادة وحيدة بالقطع مع البنيات الإدارية المتراكبة، أن يكون هناك طاقم متقلص لكنه جيد وإدارة مبسطة، والتشكل في فريق قيادي ثوري مرتبط بالجماهير" ماو.

يتعلق الأمر هنا بخطوة إلى الأمام في القيادة، التي أشار إليها لينين: العمل على الاضطلاع بمهام الدولة مجاناً بواسطة العمال أنفسهم. يمكن أن نذكر التحول العظيم في النظام المدرسي، من أجل منع أن يكون أداة لبورجوازيين جدد، حذف نظام الاستقطاب في الجامعات عن طريق قناة "عادية" للامتحانات، في الطب، الثقافة، الجيش. في جميع الميادين كانت تحويلات الثورة الثقافية إجراءات متقدمة، إجراءات ثورية وبروليتارية.

هذا هو المهم، وإن كان يجب بشكل دقيق تحليل الاتجاهات والاتجاهات المضادة، التي عبرت عن نفسها في هذه الثورة العظيمة. إن محتواها الأساسي بروليتاري، إنه الدليل على الدور القيادي، الذي لعبته البروليتاريا في الثورة الثقافية.

من ضمن الماركسيين – اللينينيين، لماذا أنفير خوجة، وبصفة عامة، الدعاية المعادية لماو، يعالجون بشكل طفيف محتوى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى؟ فلنحور السؤال: لماذا لا ينتقدون هوا ودينغ حول إقامة الرأسمالية في الصين؟

عندما أقام خروتشوف الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي، كل الماركسيين – اللينينيين شرحوا وانتقدوا الإجراءات الاقتصادية والسياسية المتخذة من طرف التحريفيين، واليوم يقوم التحريفيون بتصفية كل التغييرات والتحويلات التي حققتها الثورة الثقافية واحدة تلو الأخرى، وأنفير خوجة ينتقد الثورة الصينية و ماو.

**إن الجواب على هذا اللغز هو مزدوج:**

أولاً، فإن انتقاد هوا ودينغ معناه الاعتراف بأن ماو يمثل الخط الثوري في الصين، لأنه لا يمكن انتقاد التحريفيين الصينيين بدون الدفاع عن الإجراءات الاشتراكية التي ألقوا بها في البحر، لكن ليس هذا هو الأساسي هنا: إن انتقاد ماو هو حقا ذاتوي

تماما، لكنه ليس مجانيا إذا فحصنا من قريب محتوى نقد "الأربعة" في الصين، و نقد ماو من طرف أنفير خوجة، نلاحظ أنه، حول المواضيع الأساسية، فالعمق هو نفسه. لا يمكن أن ننتقد ما نقره، ونعني المواضيع الأساسية:

- وجود البورجوازية في ظل الاشتراكية، التي قلبها هوا - دينغ و أنفير خوجة إلى "عناصر متسربة".
- موضوع الوحدة واستقرار المجتمع الاشتراكي.
- تمجيد المنظمات الجماهيرية "العادية" (النقابات) ضد اللجن الثورية التي تم محوها من طرف هوا.

كتب أنفير خوجة:

**"صفت الثورة الثقافية الحزب الشيوعي الصيني والمنظمات الجماهيرية ..."** واللجن الثورية؟

- موضوع وحدة الحزب.
- تقديم الثورة الثقافية، وبصفة عامة، فترات الهجومات الثورية في الصين كأوقات سيئة وكفوضى هائلة ("تخريب" الأربعة).
- لا يمكن أن نستخلص من هذا الالتقاء الواضح (التقاطع) إلا الخلاصة التالية:

إن نقد ماو ليس مجانيا أو مجرد نقاش مؤرخين ومنظرين، لأن موقف أنفير خوجة الحالي يعرض الاشتراكية في ألبانيا لأكبر خطر.

كخلاصة لهذا الفصل، يجب ذكر انتقادات لأنفير خوجة لماو، تلك التي ربما تلخص أحسن، عمق النقاش بعرض أنفير خوجة هذا الاقتباس لماو:

"يعتبر الديالكتيك أن النظام الاشتراكي كظاهرة تاريخية، سيختفي تماما مثل أن الإنسان يجب أن يموت وأن النظام الشيوعي سيكون هو النفي، كيف يمكننا أن نعتبر كطرح ماركسي، الادعاء الذي، وفقا له لن يختفي النظام الاشتراكي،

وكذلك علاقات الإنتاج والبنية الفوقية الاشتراكية. ألا يعد هذا عقيدة دينية، واللاهوت الذي يجاهر بأبدية الإله؟".  
مجلد 5، ص 409<sup>13</sup>.

لقد جعل أنفير خوجة من هذا الاقتباس الواضح والصحيح تماما النقد التالي:  
"بهذا الشكل، يراجع (أي ماو) بشكل مفتوح المبدأ الماركسي - اللينيني للاشتراكية والشيوعية، اللذين هما بشكل عميق، مرحلتان من نفس النوع، من نفس النظام الاقتصادي والاجتماعي اللذان لا يتمايزان إلا بدرجة التطور والنضج، يقدم ماو تسي تونغ الاشتراكية كأنها شيئا يتعارض تماما مع الشيوعية" ص 439.  
بالإشارة إلى أن الاشتراكية والشيوعية هما مرحلتان لنفس النظام الاقتصادي والاجتماعي، بينما واحد منهما أي الاشتراكية هو:

أ - مجتمع طبقات

ب - قاعدة اقتصادية ما زالت أقل تطورا.

فإن أنفير خوجة يبتعد عن الماركسية اللينينية، بالإشارة إلى أن هاتين المرحلتين يتمايزان بدرجة تطور ونضج مختلف، فهو يشير إلى طريق خطي وكمي لانتقال الرأسمالية إلى الشيوعية، هو ينفي أن هذا الانتقال هو ثورة، وأن مجتمع الطبقات ومجتمع بدون طبقات يفصل بينهما فرق نوعي. كيف يمكننا تركيب انحراف أنفير خوجة أحسن مما فعله هو نفسه؟

<sup>13</sup> . هذا الاقتباس مقتطف من النصوص الأكثر شهرة في مجلد 5 للأعمال المختارة لماو من ص 379 إلى ص 415.

## الفصل الخامس

### خلاصات

هل أخذ السلطة من طرف هوا - دينغ والمجموعة التحريفية وسط الحزب الشيوعي الصيني علامة على "فشل" الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وإدانة لنظرية ماو حول الطبقات وصراع الطبقات في ظل دكتاتورية البروليتاريا؟ يمكن أن نجيب على هذه الأسئلة بطريقتين:

\* أولاً، هناك برهان ب "السلب"، والذي يسمح برؤية ذلك بشكل أكثر وضوحاً:

إن إقامة الرأسمالية في الصين على يد القيادة التحريفية للحزب الشيوعي الصيني تمت بالكامل عن طريق معارضة للإجراءات المتخذة من طرف الثورة الثقافية. إذا رجعنا إلى الصحافة الصينية لهاتين السنتين الأخيرتين، فمن الواضح أن كل إرجاع للرأسمالية في جميع الميادين هي مواجهة للثورة الثقافية. لقد قدمت الثورة الثقافية ك "يسراوية"، كفترة فوضوية و كارثية بالنسبة للصين.

إن أنفير خوجة على كل حال محرج جداً من هذه الحقيقة، فلكي يؤكد الاستمرارية بين ماو و هوا - دينغ فهو مضطر، سواء بالتمسك بالبيانات الرسمية للتحريفيين حول "استمراريتهم" - بإبعاد كل تحليل ملموس - أو يتناقض مع نفسه صراحة: مثلاً، بالتأكيد على أن الصين لم تتقدم أبداً في طريق الاشتراكية، بينما هو يقول أن دينغ أعاد الرأسمالية! أو بقوله أن الثورة الثقافية جمعت مختلف الفصائل البورجوازية، وفي نفس الوقت يكتب أن دينغ يؤهل رجعيين كشفت الثورة الثقافية عن وجوههم! (ص 475).

\* بعد ذلك، هناك الثورة الثقافية نفسها، محتواها، غناها، النصوص المتعددة المنشورة في هذه المرحلة، والتي هي ذات قيمة لا تقدر بثمن. لا يمكن، بطريقة أنفير خوجة إعادة كتابة التاريخ.



إن كون خروتشوف أخذ السلطة، فهذا لم يحول الانتصار والمعنى العميق لثورة أكتوبر 1917 وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي إلى رماد، وكذلك فإن مجيء التحريفيين الصينيين إلى السلطة لن يمحو الثورة الصينية لسنة 1949 والثورة الثقافية. إن الثورة الثقافية في محتواها هي تقدم كبير بالنسبة للنظرية وممارسة الثورة الاشتراكية، لقد اتخذت إجراءات ثورية جديدة تماما ومتقدمة في طريق الاشتراكية، فهذا هو الأساسي في هذه الثورة. من وجهة نظر هذه، لا يمكن أن نتحدث عن "فشل" ولكن عن انتصار الثورة الثقافية، وهو انتصار ذو أهمية تاريخية كبرى.

تبقى الحقيقة، أن الأهداف المحددة لهذه الثورة لم يتم الوصول إليها كلها، وأن التحريفيين احتفظوا بمواقف صلبة في الثورة الثقافية، وفي جميع الأحوال صلبة بما فيه الكفاية لتسمح لهم بالقبض على السلطة. بماذا تفسر في نظرنا هذه الوضعية؟

\* هناك، في المقام الأول، أخذ بعين الاعتبار وضع موضوعي، يجعل صراع الطبقات بصفة خاصة حادا، والصراع ضد الاتجاهات التحريفية داخل الحزب صعب بشكل خاص.

إن الصين بالفعل بلد شاسع، مسألة كمية نعم، ولكن التي تحدث تغييرا نوعيا جزئيا للمشاكل، خاصة وأنه بلد بورتوجوازي صغير بشكل واسع، حيث أن مهمة التحويل البطيء للبورجوازية الصغيرة بواسطة بروليتاريا ضعيفة جدا عدديا، هو بشكل خاص أمر شاق، زيادة على ذلك، فالصين التزمت بطريق الاشتراكية انطلاقا من ثورة ديموقراطية وطنية طويلة جدا، معقدة جدا، الشيء الذي لا يمكنه إلا أن يقوي في وسط الجماهير كما في وسط الحزب نفسه اتجاها "ديموقراطيا بورتوجوازيا" قويا جدا.

هذه العناصر الموضوعية لا تفسر انهزام الماركسيين - اللينينيين، لأن ماو نفسه إذا كان دائما قد بين حتمية صراع الطبقات في ظل الاشتراكية، لم يستخلص من هذا التحليل نوعا من الجبرية العفوية، تعتبر إعادة الرأسمالية كأمر ضروري، لكن كل تحليل لا يأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر، سيكون مثاليا.

\* هناك إذن، انطلاقا من الظروف الموضوعية الصعبة للماركسيين - اللينينيين أخطاء تم ارتكابها، ولا يمكننا، بدون تحليل دقيق للسنوات الأخيرة من الثورة الصينية القول بالضبط أية أخطاء تم ارتكابها، يجب بالأخص فحص آخر صراع ضد دينغ وكيف تم خوضه، وربط هذا التحليل بمختلف الاتجاهات والاتجاهات المضادة، التي ظهرت خلال الثورة الثقافية. أما في الوقت الحالي، فإننا لا نعرف مدى إمكانية القيام بهذا التحليل، وهل نتوفر بما فيه الكفاية على وثائق من أجل القيام به. إذن، نحن لسنا معارضين لمعالجة نقدية، نقد نعم، ولكن بأية وجهة نظر، وطبقا لأية منهجية؟ فهناك نقد ونقد، فالتحليل النقدي للثورة الثقافية وتوابعها لا يمكن القيام به إلا على قاعدة الماركسية - اللينينية، التي أغناها ماو تسي تونغ، وطبقا للمنهج المادي التاريخي.

- على قاعدة الماركسية - اللينينية التي أغناها ماو تسي تونغ، لأن درس الثورة الصينية، بما في ذلك هزيمة 1976، قد أكد تحليل ماو حول الطبقات وصراع الطبقات ودكتاتورية البروليتاريا، هذا أمر أساسي، فماو بالتدقيق، الذي بين أنه بعد تحويل ملكية وسائل الإنتاج يستمر صراع الطبقات، وأن البورجوازية يمكنها استعادة السلطة، هو الذي أشار إلى أن مركز هذا الصراع هو الحزب الشيوعي، هو الذي أشار كذلك إلى أنه، لقلب البورجوازية فتورة واحدة مثل الثورة الثقافية لا تكفي، لذلك فإنه يجب القيام بثورات أخرى.

إذن باستيعابنا لتعاليم ماو حول المجتمع الاشتراكي، بإمكاننا فعلا أن نستخلص حصيلة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، وهكذا فقط.

إذا اعترضنا على الحصيلة التي تقدم بها أنفير خوجة، فليس ذلك لأنه ارتكب نوعا من التدنيس بـ "التجرؤ" على نقد الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، بل لأنه يعارض ماو و تجربة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، بخط و نظرية خاطئين عبرا عن الإفلاس منذ زمن طويل خاصة في الاتحاد السوفياتي، حيث استعادت البورجوازية السلطة، و كانت هذه النظرية تؤكد على أن الاشتراكية تم تعزيزها، و أن الطبقات المستغلة (بكسر الغين) تمت تصفيتها ... و على قاعدة هذه "المبادئ" الخاطئة لا يمكننا أن نستخلص أي درس مفيد من تجربة الثورة الصينية.

- حسب منهج المادية التاريخية، أي بتحليل صراع الطبقات، وحركة الطبقات في الصين في الظروف الملموسة للمرحلة المعنية، يجب علينا أن نلقي نظرة على الثورة الصينية، بنفس الطريقة التي قام بها ماركس تجاه كومونة باريس، وقام بها لينين تجاه "فشل" ثورة 1905 في روسيا.

"ليست هناك ذرة يوتوبيا عند ماركس، فهو لا يخترع، ولا يتخيل (من الصفر) مجتمعا "جديدا"، لا أبدأ، هو يدرس كما في سيرورة التاريخ الطبيعي، ولادة مجتمع جديد انطلاقا من القديم، أشكال انتقال هذا المجتمع إلى مجتمع آخر، فهو يأخذ التجربة الملموسة للحركة البروليتارية الجماهيرية، ويسعى إلى استخلاص الدروس الملموسة، "أن يتعلم من دروس" الكومونة، فكما هو الحال بالنسبة لجميع المفكرين الثوريين الكبار، فهم لا يترددون في التعلم من دروس الحركات الكبرى للطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) بدون مقاربتها أبدا من وجهة نظر "أخلاقية" متحذقة (مثل بليخانوف عندما قال (ملاحظة المحرر) : فيما يتعلق بفشل ثورة 1905 "كان لا يجب حمل السلاح"، أو كما قال تسيرتلي : "إن طبقة يجب عليها أن تعرف الحد من طموحاتها بنفسها") " لينين : "الدولة والثورة".

عوض تبني هذا المنهج، نجد أن أنفير خوجة يلصق طرفا بآخر، وقائع معزولة، أو حتى، وقد رأينا ذلك، أطروحات مزورة منسوبة إلى ماو، ويبحث عن تأكيد بهذا الشكل على "شيء قبلي" ب "مبدأ" (خاطئ)، ويقدم لنا كخلاصة، عينات نموذجية جدا:

"عندما يتم الحديث عن "فكر ماو تسي تونغ" فمن الصعب تحديد خط وحيد و واضح خاصا به، لأنه، كما قلنا سابقا خليط من الإيديولوجيات، التي تأتي من الأناركية، التروتسكية والتحريفية الحديثة إلى صلصة التيتاوية و لخروتشوفية أو الأورو شيوعية، إلى استحضار بعض الجمل الماركسية. وسط هذا الخليط ترجع مرتبة الشرف إلى أفكار كونفوشيوس القديمة و منسيوس وفلاسفة صينيين آخرين، اللذين أثروا بشكل مباشر على تكوين أفكار ماو تسي تونغ وعلى تطوره الثقافي والنظري، والباقي، فإن آراء ماو تسي تونغ التي تظهر على شكل ماركسية - لينينية مشوهة تقدم علامة وخصوصية لنوع من "أسيو شيوعية" ممزوجة بجرعات قوية من الوطنية، وكراهية الأجانب، وحتى مفاهيم دينية بوذية، وكان محكوما أن تعارض بشكل مفتوح يوما ما الماركسية - اللينينية" ص 474.

وفيما يتعلق بأخذ السلطة من طرف التحريفيين في الصين:

"كل هذا ليس إلا لعبة تحريفية من أجل السلطة الشخصية، في الصين، كان الأمر دائما كذلك" ص 467.

إن هذا معناه إدارة الظهر للماركسية - اللينينية والمادية التاريخية.

لقد عالجتنا في هذه الكراسة النقاط الأكثر أهمية لنقد كتاب أنفير خوجة، ويبقى هناك العديد منها.

نواصل بطبيعة الحال هذا النقد، بمعالجة مسائل خاصة جدا أو "وقائع" مطروحة من طرف أنفير خوجة لتبرير رأيه المسبق، فنحن واعون أن الأهمية المعطاة لهذا العمل، ترتبط أكثر بميزة مؤلف الكتاب، القائد الأساسي لحزب العمل الألباني أكثر من عمق الكتاب.

إن المهمة النظرية الأساسية، التي يجب علينا الاضطلاع بها فيما يتعلق بتحليل الثورة الصينية، ومن أجل استيعاب دروسها، كما هو كذلك بالنسبة لأعمال ماو تسي تونغ، يتجاوز (بكثير) إطار نقد كتاب أنفير خوجة. هذه المهمة كما سطرها تنظيمنا، حيوية بالنسبة لمستقبل الحركة الشيوعية العالمية والثورة البروليتارية في فرنسا. إن التعاليم التي يمكن أن نستخلصها من تجربة الثورة الصينية، تذهب بالفعل، إلى تجاوز الفترة الوحيدة للاشتراكية، يجب أن تكون لها تأثيرات عميقة على كل نشاطنا الجاري حول تحديد برنامجنا، خطنا، تكتيكنا، وكذلك، على بناء منظماتنا الشيوعية والحزب الذي نبنيه.

**يوليو 1979**

ترجمة: جميلة صابر

المحاور:

2	..... مقدمة المترجم
	<b>- نص الكتاب - جواب أولي على أنفير خوجة بصدد كتاب "الإمبريالية والثورة"</b>
4	..... تقديم
9	..... كيف ينظر حزب العمل الألباني إلى الماضي
16	..... I - تزوير أطروحات ماو تسي تونغ
19	..... II - البروليتاريا والفلاحون
27	..... - التحولات الزراعية بعد 1949
30	..... IV - التحويلات الاشتراكية للرأسمال الخاص
38	..... هل الحزب الشيوعي استثناء في الديالكتيك؟
38	..... I - ماو، مراجعة وتصحيح
41	..... II - من أين يأتي صراع الخطوط؟
43	..... III - طريق أو خط: مشكل ذو دلالة
47	..... IV - ماو تسي تونغ يستخلص دروس تاريخ الحركة الشيوعية العالمية
49	..... V - اعرف كي تغير
54	..... الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية هو بمثابة ثورة
55	..... I - من أين جاءت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى
58	..... II - الطبقات وصراع الطبقات في ظل الاشتراكية
64	..... III - أين هي البورجوازية؟

67	.....	١٧ – التحولات المنجزة خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى
72	.....	خلاصات